مجتمع مملكة مالي ما بين الوثنية والاسلام

Society of the Kingdom of Mali between paganism Islam

م.د عباس علي خلف

Dr. Abbas Ali Khalaf

وزارة التربية / المديرية العامة لاعداد المعلمين والتدريب والتطوير التربوي

مجتمع مملكة مالي ما بين الوثنية والاسلام

م.د عباس علي خلف

الملخص:

عاشت مملكة مالي في ظل الاسلام كواحدة من ممالك السودان الغربي التي نشأت مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وقد تمتعت هذه المملكة بنفوذ قوي مكنها من السيطرة على طرق التجارة، فذاع صيتها بين الدول الاسلامية آنذاك، وعلى مدى قرنين من الزمان حاول ملوكها نشر الدين الاسلامي في ربوع المناطق الخاضعة لسلطتهم، الا ان ذلك لم يتحقق بالمعنى المطلق فقد وقفت اسبابا عدة حالت دون ذلك، وظلت شعوب وقبائل بعض المدن التابعة لها على معتقداتها الوثنية يعبدون الاصنام وارواح الاجداد والظواهر الطبيعية وتقديس بعض الحيوانات، ويمارسون حياتهم الاجتماعية في ظل معتقدات وسلوكيات مستهجنة لم تحفظ للإنسان كرامته، وفي خضم الكم الهائل من الكتابات التي تناولت موضوع انتشار الاسلام وتأثيره الحضاري في المجتمعات الافريقية والتي صورته في الاعم الاغلب بصورة وردية ابتعدت عن الواقع، جاء هذا البحث ليكون بمثابة الصرخة التي تنبه الى حجم التناقض التي تعيشه تلك الشعوب والقبائل، فتناول الحياة الاجتماعية بجوانبها المتعددة من وصف المكونات الاجتماعية وما تتمتع به بعض طبقات المجتمع من امتيازات، وسلط الضوء على اهم الظواهر السلبية التي يمارسها المجتمع، من بينها ظاهرة التعري وعدم ارتداء الملابس وظاهرة تعدد الزوجات دون عقد او صدقات، واكل المحرمات من الميتة والجيف، والتعامل بالمقايضة دون حساب او مكيال في البيع والشراء وتداول العملة، وتبني احكاما قضائية في القصاص بعيدة عن الشرع، فضلا عن شيوع ظاهرة السحر والكهانة في المعتقدات والديانات، والشعائر والطقوس الغريبة الخاصة بمراسم دفن الاموات، كل ذلك دفع الباحث الى تبني فكرة ايجاد موازنة بين تعاليم الاسلام وسننه وشرائعه وما تعيشه تلك الشعوب من تناقضات اجتماعية خطيرة.

Abstract

The Kingdom of Mali lived under Islam as one of the Western Sudan's kingdoms that originated in the early 7th century Hijri/13th Century AD and has enjoyed strong influence to control trade routes, for two centuries, its

kings tried to spread Islam's religion throughout the areas under their authority. But that didn't happen in the absolute sense, I stood for a number of reasons that prevented it. And the peoples and tribes of some of their dependent cities continued to worship idols, ancestral spirits, natural phenomena and the sanctity of certain animals, they practice their social lives with reprehensible beliefs and behaviors that do not preserve human dignity. In the midst of the enormous body of literature on the topic of the spread of Islam and its cultural impact in African societies, which most often depicted it in a rosy way that moved away from reality, this research served as a cry that alerts to the magnitude of the contradictions experienced by these peoples and tribes, addressing social life in its many aspects of the description of components.

المقدمة

تعد هذه الدراسة واحدة من الدراسات التاريخية التي اختصت بالمجتمع السوداني في افريقيا جنوب الصحراء إذ تناولت واقع الحياة العامة ابان حكم مملكة مالي التي شهدت تطورات حقيقية في مختلف الاصعدة لاسيما فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية، ومدى تأثرهما بالإسلام وأحكامه الشرعية مع بقاء المورثات الوثنية المستهجنة قائمة وسط السكان في ممارسات يومية لم تتمكن يد الاصلاح من تغييرها.

فجاءت هذه الدراسة لتكون نافذة جديدة نطل منها على واقع الحياة الاجتماعية في تلك الحقبة الزمنية، مع التأكيد على ان أغلب الدراسات السابقة لم تحاول ان تخلق حالة توازن بين مدى تأثر السكان بالإسلام وقبولهم به كدين ينظم الحياة بكل جوانبها وبقاء رواسب الوثنية شاخصة تمارس على وفق سلوكيات قبيحة تخالف احكامه وشرائعه، وان عني بعضها بشؤون المجتمع والسكان والاسرة، الا ان معظمها كان محاكاة لنمط واحد حاول مؤلفوها الابتعاد عن الواقع وتصويره بصورة اشبه بالوردية في محاولة منهم ترسيخ فكرة ان الاسلام دخل الى تلك البلاد بعظمته وقوة تأثيره محدثا تغييرا شاملا في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية، ومع هذا فأن تلك الكتابات جاءت على شكل مقالات مقتضبة لا تشكل دراسات تفصيلية واقعية، ولعل مرد ذلك جملة من الاسباب من بينها

قلة المصادر التاريخية القديمة وشحتها وربما اضطراب محتواها التاريخي، اذ لم يهتم المؤرخون الاوائل في كتاباتهم بشكل تفصيلي عن تاريخ تلك المناطق مثلما وجد عندهم لأماكن اخرى، وما عثر عليه لا يتعدى سوى نتف بسيطة وجدت هنا وهناك، ولعل ذلك يأتي في اطار ما ذكر على تلك البلاد بانهم شعوب مهملة لا حظ لهم في الديانات وانتظام الملك والآداب[1]، اذ ان أغلب الذين كتبوا عن افريقيا جنوب الصحراء من المؤرخين الاوائل لم يسبق لهم ان تجاوزوا الصحراء الكبرى، ما عدا المؤرخ الجغرافي ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) الذي وصل الى مشارف بلاد السودان جنوبا، ومع ذلك فقد جاءت الروايات وهي محملة بالمبالغات والمغالطات لاعتمادها على القصص الشفوية، وان كل ما وصل الينا من أثر قد تأخر حتى دخول الإسلام الى تلك البلاد بحدود القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الامر الذي اظهر وجود فجوة تاريخية لم يكن اشغالها بالشيء السهل وهذه من أهم المعوقات التي واجهت الباحث وهو يحاول وضع تصور واضح لطبائع المجتمع وخصوصيته في تلك البلاد.

تناول البحث أحوال المجتمع في بلاد السودان الغربي وذلك عن طريق ما ورد من روايات ومشاهدات مما دونه المؤرخين والبلدانيين والرحالة الذين اشاروا في كتاباتهم الى احوال المجتمع كالبكري والادريسي والعمري وابن بطوطة في كتابه المسمى (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) الذي وصف فيه احوال المجتمع في المدن التي زارها وتجول بين ارجائها، وفي ضوء ذلك فقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، جاء المبحث الاول تحت عنوان الحيز الجغرافي والحياة السياسية لمملكة مالي، اما المبحث الثاني فقد تناول نظرة عامة عن احوال المجتمع في افريقيا جنوب الصحراء قبل قيام مملكة مالي الاسلامية، وتصور تاريخي للمظاهر الاجتماعية والاقتصادية والدينية ومستوى التغيرات التي احدثها الإسلام في سكان المملكة، إذ جمعت فيه مرويات المؤرخين والرحالة وتعليقاتهم وآرائهم ومشاهداتهم التي سنعتمدها في بيان جوانب العادات والتقاليد والمعتقدات، ليختم البحث بنتائج توصل اليها الباحث من المؤمل ان تكون مسارا لدراسات جديدة تغني مكتبتنا العراقية.

المبحث الاول: الحيز الجغرافي للسودان الغربي وقيام مملكة مالي

اولا: الحيز الجغرافي للسودان الغربي

اهتم عدد من المؤرخين والبلدانيين المسلمين بجغرافية العالم ورسموا لنا صور ابتدائية عن الحيز الجغرافي لكل المناطق ومن بينها افريقيا جنوب الصحراء، فجاءت كتاباتهم معبرة عن الظروف المكانية والزمانية لتلك المنطقة من حيث طبيعة الارض والمناخ والانهار وما يتعلق بالسكان والزراعة وطرق التجارة والسلع المتداولة وغيرها من الامور، وقد اشار ادوارد بوفيل[٢] الى ان الفضل فيما وصل الينا من معلومات يعود الى أولئك البلدانيين المسلمين الذين نقلوا لنا الواقع الجغرافي لهذه المنطقة في الوقت الذي كنا نعيش حالة من الجهل بأحوال المناطق الداخلية لأفريقيا قبل مجيئهم، فعبرت آراؤهم عن رؤية استشرافية واساس مرجعي للعالم حتى وقتنا الحاضر، وقد نبه ترمنجهام [٣] الى ان هؤلاء المؤرخين اطلقوا على سكان افريقيا جنوب الصحراء ووصفوهم بـ(السودان) وهي نسبة الى سواد البشرة فصار الوصف الجغرافي محددا في كتاباتهم تحت مسمى (بلاد السودان)، وان استعارة الباحث لنصوص المستشرقين بهذا الصدد ما هي الا دلالة واضحة على سبق المؤرخين المسلمين غيرهم من الباحثين في اغناء المكتبة التاريخية بعظيم الاثر.

ومن بين من اشار الى الحيز الجغرافي لأفريقيا جنوب الصحراء المؤرخ والبلداني الاصطخري (٣٤٦هـ/٩٥٧م) بقوله: "اما جنوبي الارض من بلاد السودان فان بلد السودان في اقصى المغرب على البحر المحيط بلد مكنف ليس بينه وبين شيء من الممالك اتصال غير ان له حدا ينتهي الى البحر المحيط، وحدا له الى برية بينه وبين ارض المغرب، وحدا له الى برية بينه وبين ارض مصر على ظهر الواحات، وحدا له ينتهي الى البرية التي قلنا انه لا ينبت فيها عمارة لشدة حرها"[٤]، اي بمعنى ان ابعاده بحسب الوصف تبدأ غربا بمحاذاة سواحل المحيط الاطلسي لتمتد في صحراء واسعة وصولا الى واحات مصر شرقا، وقد أكد ابن حوقل[٥] وصف الاصطخري الا انه لم يربط بلاد السودان بالطرف الشرقي عند البحر الاحمر بل جعل حدوده الشرقية تنتهي بحدود بلاد النوبة، وعزز رأيه بخريطة رسمها في كتابه اشار بها الى مناطق ممالك السودان مما جعله من افضل البلدانيين الذين رفدوا

مكتبة التاريخ الإسلامي بالمعلومات الدقيقة لاسيما وانه الوحيد الذي وصل الى تلك البلاد متنقلا بين عدد من المدن الصحراوية مثل مدينة اودغست[٦] التي تمثل اهم محطة تجارية تناوبت على سيادتها الدول والممالك.

اما البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) فقد ذكر ان بلاد السودان تمتد في المساحة الفاصلة ما بين بحر الظلمات غربا حتى مشارف بلاد النوبة شرقا، وهو وصف ينطبق على مناطق غربي افريقيا[٧]، وفي ضوء هذا العرض الموجز يتضح ان الوصف الجغرافي لمنطقة غربي افريقيا التي عرفت بالسودان الغربي اليوم، تشغل المساحة المحصورة بين دائرتي عرض٩ْ و١٧ْ شمال خط الاستواء، ومن الجهة الغربية المحاذية لبحيرة تشاد شرقاً، الى ساحل المحيط الاطلسي غرباً، وتحده من الجنوب منطقة السفانا الاستوائية[٨] وهو وصف عكس مدى التطور الفكري لجغرافية المكان اذ تم تقسيم المنطقة بحسب الاجناس التي تقطنها فصارت بلاد السودان الغربي تمتد باتساع حول ثنية نهر النيجر في المنطقة المحصورة بين بحيرة تشاد حتى سواحل المحيط الاطلسي تحدها من شمالها الصحراء الكبرى التي مثلت جزأ منها اذ تكاد تختفي الحدود فيها لتداخل مناطقها، ومن الجنوب بلاد الغابات الاستوائية، وهذه الجغرافية تضم اليوم دولا عدة من بينها السنغال وغامبيا وغانا وسيراليون وليبيريا وساحل العاج ونيجيريا وساحل الذهب وداهومي[٩].

اما بالنسبة لطبيعة الارض فتتباين اجزاؤها بين منطقة واخرى فمن الشمال تمثل الرمال الصحراوية الجرداء السمة الغالبة عليها لكنها في فصل الشتاء تكتسي مساحاتها بالعشب لتشكل مراعي جيدة تجذب اليها السكان الباحثين عن الكلأ ، كما تتخللها واحات تكونت بفعل العيون تضللها غابات النخيل التي يستغلها السكان المقيمين في زراعة بعض المحاصيل[١٠]، والتي اصبحت مع الزمن محطات تمثل حلقة وصل بين الشمال والجنوب ادت دورا كبيرا في التجارة اذ تتجمع القوافل التجارية القادمة من الشمال وبالعكس[١١] بينما تمثل المنطقة الداخلية الوسطى مزيج من اودية خصبة تحاذي حافات الانهار، تشكل سهولا للنبات الطبيعي التي تشغل مساحات واسعة من البلاد وهضاب صالحة للزراعة مع وجود مرتفعات جبلية في غينيا ونيجيريا التي يجري فيهما نهري الفولتا والنيجر[١٢].

ويتخلل هذه المنطقة الوسطى نهرين عظيمين هما نهر السنغال ونهر النيجر اذ ينبع الاول من مناطق الفوتاجالون التي تشتهر بسقوط كميات كبيرة من الامطار، ويبلغ طوله حوالي ١٧٠٠كم ويقترب من منابع نهر النيجر الا انه يتجه الى الشمال الغربي ماراً بحوافي الصحراء وهو يسير نحو مصبه، أما الثاني فطوله يبلغ حوالي ٤٢٠٠كم اذ ينبع بالقرب من حدود سيراليون ليتجه نحو اطراف الصحراء ايضا لكن باتجاه الشمال الشرقي ماراً بمدينة تمبكتو[١٣] ليقطع هذه المسافات وسط مناطق سهلية تكثر فيها زراعة المحاصيل المتنوعة، وهذين النهرين يكونان صالحين للملاحة والصيد ليصبان في المحيط الاطلسي[١٤] .

اما المناخ والامطار فتهب على افريقيا الغربية الرياح الموسمية القادمة من الجنوب الغربي، وتتفاوت كميات الامطار الساقطة من منطقة الى اخرى لتكون قليلة عند الاجزاء المحاذية للصحراء كلما ابتعدنا عن خط الاستواء، اذ ترتفع درجات الحرارة صيفاً لتعامد الشمس[١٥].

اما عن الشعوب والاجناس التي سكنت هذه المنطقة فيسود الغموض والاضطراب المصادر العربية الجغرافية والتاريخية القديمة حول الاصول العرقية للقبائل التي اسست مملكة مالي، اذ ان هذه المناطق ظلت بمعزل عن اي احتكاك سامي او حامي ولم تختلط الاجناس مع بعضها الا في العصور المتأخرة وسط اشارات متواترة بوجود هجرات لأجناس مختلفة من البشر، منها هجرات الزنوج الذين نزحوا من الشرق، وهجرات العرب والبربر على حد سواء ووصولهم الى هذه المناطق[١٦].

لكن الدراسات الحديثة لمستشرقين ذهبت بالقول ان هذه الاجناس تعود الى قبائل الماندينغ[١٧]، مع ان هذا الرأي لا يمكن القطع بصحته بيد ان هناك العديد من القبائل التي استوطنت غربي افريقيا من مختلف الاجناس منها الولوف والتكرور[١٨] والماندنجو والفانتي واليوربا والصنغى والهوسا[١٩] وهؤلاء ينقسمون الى فروع اصبح كل واحد منها قبيلة بحد ذاته منهم قبائل السوننكة مؤسسي امبراطورية غانه ، ومنهم الفولانيين مؤسسي دول بلاد الهوسا ومنهم البمبارة والديولا ومنهم الماندي الذين اسسوا مملكة مالي[٢٠] والذين تميزوا عن غيرهم من السودان بالتحضر والذكاء[٢١] والغالب عليهم السواد الحالك وتفلفل الشعر وطول الساقين مقارنة بباقي الجسم[٢٢] وخلاصة القول ان هذا الحيز الجغرافي لغربي افريقيا مثل مسرحا

لقيام ممالك عدة وشعوبا نشطة مارست دورها في الحياة وارتبطت بشبكة علاقات واسعة ابتدأت بقيام دولة غانة ثم مملكة مالي حتى قيام مملكة صنغى التي انهارت نهاية القرن العاشر الهجري على ايدي الغزو السعدي

ثانيا: قيام مملكة مالي[٢٣]

مثل الفراغ السياسي الذي خلفه سقوط مملكة غانة على يد قبائل الصوصو[٢٤] فرصة سانحة لبروز مملكة مالي ككيان سياسي جديد كانت قد عاشت تحت وطأة الاستعباد والقهر والتعسف الذي مارسه ملك الصوصو سومانجورو لمدة طويلة واجتهدت بكل قوة من اجل الاستقلال وتوسيع نفوذها على حساب الممالك المجاورة بقيادة الملك سانديانا كيتا الملقب بـ(ماري جاطة) والتي تعني الملك الاسد[٢٥] الذي يرجع نسبه الى الملك ناري فامغان بن موسى الاكوي من اسرة كيتا، ويرجح ان الاخير هو نفسه الملك برمندان الذي اشتهر في كتب التاريخ الإسلامي[٢٦] والذي وصف بـ (المسلماني)[٢٧]، وتمكن سانديانا كيتا من القضاء على هيمنة الصوصو وتأسيس مملكة مالي القوية بعد عدة معارك طاحنة انتهت بمعركة كريتا الحاسمة عام(٦٣٣هـ/١٢٣٥م) والتي مكنته من بسط نفوذه على جميع الاراضي والمقاطعات التابعة لإمبراطورية غانة سابقا، ومن اجراءاته الادارية انه سن دستورا للبلاد نظم عن طريقه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٢٨]، ونقل عاصمته الى مدينة (ينع او نياني) التي تقع على احد فروع نهر النيجر بدلا من عاصمة اجداده (جارب)[٢٩] ويبدو ان لأهمية الموقع الجغرافي للعاصمة الجديدة دور في اختيارها، إذ تقع عند حافات نهر سنكراني وفي مناطق شبه جبلية تقترب من غابات السفانا التي تشكل حاجزا طبيعيا يعرقل هجمات الاعداء، وكذلك بالقرب من مناجم الذهب التي مثلت مصدرا رئيسا لمالية المملكة؛ بينما علل احد الباحثين السبب وراء ذلك هو عدم شعور سنديانا كيتا بالأمان في العاصمة جارب بسبب تخوفه من عناصر معادية له داخل قبيلته نفسها[٣٠] وقد مكنه هذا الموقع الوسط، فضلا عما تحلى به من صفات شخصية كالشجاعة والحنكة والقوة من أن يوسع حدود مملكته الناشئة ويسيطر على مساحات واسعة لممالك مجاورة، بل وبذل جهوداً كبيرة في نشر الدين الإسلامي في تلك المناطق، لكن

ما يثير الغرابة ان ابن خلدون وهو واحد أهم علماء الاجتماع الكبار يستشكل على نسب هذا الملك قائلا:" ولم يتصل بنا نسب هذا الملك"[٣١]، ولعل مرد ذلك انه ربما لم يكن متأكدا من حقيقة نسبه ممن زوده بأخبار تلك البلاد وتاريخها، إذ ان أغلب ما وصل الينا عن سيرة هذا الملك هو روايات شفوية لا تخلو من الاساطير ولذلك يرجح ان ابن خلدون لم يعول عليها كثيرا.

قضى سانديانا كيتا اكثر من عشرين عاما على راس السلطة ثبت خلالها اركان الملك فصارت مملكته تشغل المساحة الممتدة من المحيط الاطلسي غربا حتى حدود بحيرة تشاد شرقا، ومن جبال البربر شمالا حتى بلاد الهمج من الجنوب، وهذه المساحة ضمت اكثر من اربعة عشر اقليما ما بين مدن وقرى[٣٢]، وبعد وفاته خلفه ابنه منسا ولي (٦٥٣- ٦٦٩هـ/١٢٥٥-١٢٧٠م)، ومعنى منسا بلغة الماندي (السلطان)[٣٣] ، وفي قول آخر يعني (الملك الاكبر)[٣٤] فاستمر على نهج والده في توسيع الدولة وتثبيت اركانها وتمكن من القضاء على بعض التمردات التي ظهرت، والسيطرة على مناطق جديدة في الجنوب والجنوب الشرقي كما قام بالتوسع في الشمال الغربي فضم بلاد التكرور، ووصف بأنه احد اعظم ملوك المملكة، وبعد وفاته خلفه ثلاث ملوك ضعاف وصف اخرهم بانه كان أحمقا يرمي الناس بالسهام فاتفقوا على قتله ليولوا احد ابناء بنت سانديانا كيتا الذي يدعى ابا بكر ولم يستمر طويلا اذ تمكن احد القادة المدعو (ساكورة او سيكرة) من السيطرة على الحكم عام (٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، وتتفق اغلب المصادر على التعريف به كقائد من القادة العظام للملك سانديانا كيتا او مولى من عبيد الاسرة الحاكمة ولم يكن من سلالة الملوك، وتتفق ايضا على انه كان حكيما وشجاعا تمكن من القضاء على الفوضى التي اصابت المملكة بعد تاريخ مهزوز من حكم ملوك ضعفاء فتمكن من توسيع نفوذ المملكة وفرض هيمنتها على مناطق واسعة حتى وصف ابن خلدون تلك الحقبة بقوله: " كانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الامم المجاورة لهم. وافتتح بلاد كوكو واصارها في ملكة اهل مالي واتصل ملكهم بالبحر المحيط وغانه بالمغرب الى بلاد التكرور في المشرق، واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان وارتحل الى بلادهم التجار من بلاد المغرب

وافريقية"[٣٥]، وفي خضم هذه الانتصارات والتوسع توسم ساكورة ان يكللها برحلة الى مكة للحج واثناء عودته تعرض للاغتيال (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) بعد ان مكث في الحكم خمسة عشر عاما، ويختلف المؤرخون في تحديد مكان اغتياله ومن هي الجهة التي وقفت خلف هذا الفعل فالمصادر تضطرب في هذه الجزئية[٣٦]، وما يهمنا من امر ان مرحلة التوسع انتهت بوصول ملوك ضعفاء لم يكن لهم شان يذكر من الاعمال حتى وصل الى الحكم الملك موسى بن ابي بكر (٧٠٧-٧٣٣هـ/١٣٠٧-١٣٣٢م)، والذي لقب بـ(كنكا موسى) نسبة الى اسم والدته، وقد اشادت كتب التاريخ[٣٧] بإنجازات هذا الملك ومزاياه الشخصية والقيادية وما يمتلكه من قوة، فقد تمكن من توسيع حدود المملكة وضم اليها مناطق جديدة لاسيما مدن الصحراء التي مثلت محطات التجارة مع شمال افريقيا، واحتل عاصمة الصنغى (جاو) وجعلها جزءا من املاكه، ولعظم ما اشتهر به هذا السلطان فقد اطلق العرب على ملوك المملكة اسم (ملك التكرور)[٣٨] وهي تسمية كانوا يأنفون منها لان بلاد التكرور كانت اقليما تابعا لمملكتهم وتحت حكمهم، وقد ذاع صيت هذا الملك ليس فقط لأعماله الكبيرة فحسب بل لرحلة الحج الشهيرة التي قام بها عام (٧٢٤هـ/١٣٢٣م) والتي اخذت صدى واسعا بين اوساط المؤرخين لما فيها من عجائب وغرائب في مقدار الاموال التي حملها معه وعظم موكب الحراس والعبيد الذين رافقوه في رحلته مما عكست حجم سلطانه والابهة التي تمتلكها دولته، فكانت تلك المشاهد ابوابا اطلت منها قوافل التجار العرب الى تلك البلاد[٣٩]، ولما انقضت سني حكمه التي قاربت الخمسة والعشرين عاما خلفه ابنه منسا مغا فكان على عكس والده ضعيف الهمة قليل الخبرة ولم يلبث طويلا فتمكن عمه منسا سليمان من استلام السلطة عام (٧٣٧هـ/١٣٣٦م) واستطاع بما اوتي من حنكة ودراية وقوة ونشاط من القضاء على التمردات التي حصلت في بعض الولايات وتأديب القبائل الوثنية في الجنوب فانبسط الامن فبنى المساجد وجلب الفقهاء واقام الجمع وبقي في الحكم حتى عام (٧٦١هـ/١٣٥٩م) اي ما يقارب الاربعة والعشرين عاما، ثم ملك ابنه منسا الذي لم يلبث طويلا ليتحول الحكم الى ماري جاطة الثاني ابن منسا مغا بن منسا موسى فكان هذا سيء السيرة مبذر اضاع الدولة واملاكها حتى قيل انه باع حجرا

من الذهب غير المسبوك زنته خمسين قنطارا كان من ضمن ذخائر خزائن المملكة، ثم اصيب بعلة النوم ومات على اثرها سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، ليتولى الحكم من بعده ابنه موسى الذي سار بالدولة على عكس ابيه لكن المتغلب على امر الدولة حينها وزيرة ماري جاطة الذي كان يسير الجيوش والعساكر نحو البلدان المتمردة فدوخ الأقطار وعنما توفي منسا موسى سنة (٧٨٩هـ/١٣٨٧م) تولى اخوه منسا مغا ولم يقم سوى سنة واحدة ليتولى الحكم الوزير صندكي زوج ام موسى لتبدأ الصراعات الداخلية تعصف بالدولة حتى سقوطها على أيدي قبائل الصنغى(٤٠).

المبحث الثاني: مجتمع مملكة مالي ما بين الوثنية والاسلام

اولا: نظرة عامة

عاش مجتمع بلاد السودان الغربي في ظل مملكة مالي الإسلامية في جو متناقض تحت تأثير الموروث الوثني والتقاليد والعادات السائدة التي كانت مترسخة في الواقع الاجتماعي عبر الاجيال في بعض الاقاليم التابعة لها، على الرغم من ان هذه المملكة قد تميزت عن غيرها من الممالك التي سبقتها بانها قامت على ايدي ملوك مسلمين، وهذا مؤشر يبعث على الاستغراب! إذ ان السمات شبه الحاكمة على الصعيد الاجتماعي كانت تشير الى تمسك هذا المجتمع ببعض انماط الحياة الوثنية، فكانت الشرائع الإسلامية شبه معطلة في احكام معينة وتطبق في حدود ضيقة فتوريث ابن الاخت ظل سائدا لمدة طويلة في هذه المملكة، وتعدد الزوجات الى اكثر من اربع ومظاهر التعري وعدم ارتداء الملابس ظلت هي الاخرى تمارس في مجتمعات بعض المدن، وحرية المرأة في مصاحبة من تشاء من الرجال ظل امراً مألوفا ايضا، وممارسة بعض الطقوس الدينية والسحر والشعوذة على الرغم من انتشار الإسلام، فضلا عن التجارة بالعبيد وأكل لحوم البشر وغيرها من السلوكيات الاجتماعية المنبوذة.

ويبدو ان عملية التحول في الحياة العامة التي شهدتها مملكة مالي بعد دخول الإسلام لم تكن تسير بسهولة ويسر او لنقل لم يكن تحولا جذريا بالمعنى الادق بيد ان رواسب الماضي بمعتقداته وأفكاره الشاذة التي يستهجنها الشرع الاسلامي ظلت تمارس

في الواقع الحياتي اليومي للمجتمع في بعض المدن، ويرجع احد الباحثين السبب في ذلك الى الإسلام نفسه الذي لم يحاول فرض ايديولوجيته الدينية بالقوة، او انه لم يشأ الاصطدام بالواقع بشكل مباشر، بل اراد فرض مبادئه وتعاليمه جنبا الى جنب مع ما كان سائدا تاركا المجال للسكان التمييز والموازنة بين ما يوافق احكام الدين الإسلامي وما يخالفها[٤١]، وبين ما يحفظ كرامة الانسان وبين ما يمكن ان يهينها، وقد يكون في هذا الرأي جانب من الصحة برغم ما وصل الينا من اخبار تؤكد ان اسلوبي الاكراه والجبر كانت قد مورست من قبل المرابطين[٤٢] اولا ومن ثم بعض ملوك بلاد السودان ومملكة مالي في بعض المناطق التي فتحوها وادخلوها في حوزة ملكهم ثانيا[٤٣].

ولا غرو اذا وجدنا الإسلام يعيش حالة من التذبذب بين الايمان والكفر في نفوس مجتمع مالي وعدم اكتراثهم بالسنن والشرائع في بعض الممارسات السلوكية، بل وتمسك الاغلب منهم بطقوسه القديمة في التعبد بالأصنام والارواح والايمان بما يقوله الكهنة واستشارتهم في شؤون الحياة المختلفة، وممارسة السحر والتضحية بتقديم القرابين البشرية والحيوانية، إذا ما علمنا ان لهذا الموضوع ما يبرره في حوادث التاريخ في اشارة لما حدث في الشمال الافريقي إبان حقبة الفتح الإسلامي لمناطق الساحل التي استمرت قرابة السبعين عاما ارتد فيها البربر عن الإسلام اثنتي عشرة مرة مع ان الجيوش الإسلامية كانت تجوب البلدان وهي تحاول فرض الدين بالقوة[٤٤]، ولعل السبب الرئيس في عدم ترسيخ القيم الإسلامية وتمسك المجتمعات بمعتقداتها القديمة وبقاء بعض الأقاليم التابعة للمملكة على الوثنية كان وراءه الحكام انفسهم، اذ ان دخول الناس الى الإسلام كان سيحرمهم من اموال الجزية التي تمثل واردا ماليا كبيرا يغني بيوت اموالهم، فضلا عن ان بقاء هذه القبائل على الوثنية يعطي الحكام المبرر لاسترقاقهم وبيعهم كعبيد، ولذلك حالوا ايجاد مبرر معقول لهذا الاجراء فلجأوا الى اشاعة بعض الامور الغيبية من قبيل أن اي بلد من بلدان الكفر يدخله الاسلام وتطبق فيه الشرائع وينطق فيه داعي الآذان الا وقل الذهب في ارضه تدريجيا حتى يتلاشى وينعدم ثم يكثر في البلاد التي تليه التي تبقى على الكفر والشرك لذلك عندما صح لهم

هذا المعتقد تركوا سكان تلك المناطق على دينهم وعبادة اصنامهم ورضوا منهم بالطاعة ودفع الجزية[٤٥].

ومن هنا نجد ابن خلدون يشير الى هذا التحول البطيء بقوله:" إذ تحولت الاحوال باستمرار العصور فاستولى اهل مالي على ما ورائهم وبين ايديهم من بلاد صوصو وكوكو وآخر ما استولوا عليه بلاد التكرور واستفحل ملكهم الى الغابة واصبحت مدينتهم بني حاضرة بلاد السودان بالمغرب ودخلوا في دين الإسلام منذ حين من السنين"[٤٦]، وخلاصة القول وان بدى انتشار الإسلام واضحا في تلك البلاد والتزام بعض القبائل بمبادئه السامية عن طريق تأثرهم بالدعاة والعلماء والتجار، الا انه كان فيما يبدو اسلاما ظاهريا صوريا اختلفت درجة التمسك بأحكامه الشرعية وتطبيق سننه في الحلال والحرام من مدينة الى اخرى بل ومن قبيلة الى اخرى، إذ تمسك الكثير من الاهالي بالوثنية ولم تعتنقه كل فئات المجتمع السوداني[٤٧].

ثانيا: واقع الحياة الاجتماعية (العادات والتقاليد والمعتقدات)

١- المكونات الاجتماعية

ان المتتبع لتاريخ السودان الغربي يجد ان التركيب الاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي لم يطرأ عليه تغيير كبير منذ نشوء مملكة (غانه) مرورا بتاريخ مملكة الصوصو حتى قيام مملكة مالي، إذ ابقت الاخيرة النظام السياسي قائما على ما كان عليه فضلا عن التركيب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي[٤٨] فكان من مظاهر الحياة الاجتماعية للمجتمع السوداني ابان حكم مملكة مالي الإسلامية انه مقسم الى طبقات اجتماعية استمدت تكوينها من الموروث الاجتماعي لقبائل الماندنجو وقبائل السوننكة التي اسست مملكة غانه ولم تحاول الخروج من هذا النمط، إذ لا انفصال عن وجوده بما يفرضه الواقع القبلي والنظام السياسي في الوقت نفسه، فكانت هذه الطبقات تختلف في طرق معيشتها وطبيعة علاقاتها مع بعضها البعض، وقد مثلت طبقة الملوك والامراء وقادة الجيش قمة الهرم الاجتماعي فكانت من اغنى الطبقات وأقلها عدداً، وكان النظام وراثيا إذ إن الملوك يتوارثون الحكم والمناصب في المملكة على وفق نمط

توريث ابن الاخت، وان ظهر تطور خلاف السائد في بعض الحالات مثل وراثة منسا ولي لوالده ماري جاطة وخلافة منسا مغا والده منسى موسى ولعل مرد ذلك تأثرا بالعقيدة الاسلامية وان هذه الحالات ربما مثلت انقلابا على الموروث العرفي السائد آنذاك من توريث الملوك لأبناء اخواتهم او بناتهم [٤٩]، إذ ان المجتمع في تلك البلاد يؤمن بمفهوم الامومة بوصفه الاصل الذي يرتبط به النسب، وقد علل البكري ذلك بان ابن الاخت او ابن البنت لا يشك في انه ابن امه، ويُشك في انتسابه لأبيه ولا يقطع بصحة اتصاله به [٥٠]، وهذا فيما يبدو مؤشر على تفشي الظواهر القبيحة في المجتمع مثل الزنى وتعدد الزوجات بشكل غير محدد اي بحصول اليقين بان الولد ابن امه، فكان المشهور ان الرجل يسمى باسم والدته ومصداق ذلك تسمية الملك منسا موسى باسم والدته (كنكا)، فأشتهر باسم (كنكا موسى) [٥١].

وقد تمتعت هذه الطبقة بامتيازات ومراسم خاصة منها ان الملك يصطفي لنفسه القطع الكبيرة من التبر ويترك للناس الرقاق منه، بل ان في زمن الملك منسا موسى كانت مواقع الذهب حمى له يمنع على الناس دخولها ليجمع الذهب عن طريق متحصلين يعملون عنده، وان له الحق بالزواج بعدد لا يحصى من النساء، بل واشتهر ابان حكم مملكة مالي ان من تنشأ له بنت حسناء من اهل مملكته يقدمها للملك امة موطوءة من دون تزويج[٥٢]، فكان من حق الملك ان يكون له من النساء ما يشاء يتسرى بهن من غير عقد قران او مهر كجوار او خليلات وهذا بطبيعة الحال مناف للشرع الاسلامي مع ما اشتهر به ملوك هذه المملكة بانهم مسلمون حريصون على نشر الاسلام ومبادئه السامية؛ وكان يملك عددا من القصور المسورة ومزارع خاصة لاسيما مزارع نبات (القافي) الذي يشبه القلقاس في الشكل لكنه اكثر لذة وكان يعاقب كل من يسرق منه عقوبة تصل الى حد قطع الرأس وهي سنة عندهم مشهورة[٥٣]،، ومن العادات التي تمارس داخل مجلس الملك ان لا أحد يصافحه سوى القاضي فقط، واذا دخل احد خلع قميصه وتأزر ويركع ويضرب صدره بيده ثم يجثو على ركبتيه امامه[٥٤] وتحية المسلمين الداخلين عليه فهي التصفيق[٥٥]، اما اهل مملكته فكان لهم تقليد خاص يتذللون به اليه فلا يدخل احدا كائنا من كان الا حافي القدمين ما عدا

الترجمان كوغا[٥٦] حتى لو كان اميرا ومن يسهو في هذه المسألة تكون عقوبته الموت دون عفو او رحمة، واذا انعم على احدهم اخذ يتمرغ بين يديه بالتراب، ثم يذر على رأسه الرماد الموضوع بجانب الملك، ومن يعطس في مجلسه يضرب ضربا مبرحا، فاذا اراد احدهم العطاس تمدد على بطنه لكي لا يسمع عطاسه، اما اذا عطس الملك فانهم يضربون بأيديهم على صدورهم[٥٧]، ويبدو عن طريق الصورة التي نقلها لنا المؤرخين والرحالة ان هذه المراسم والتقاليد هي من بقايا افرازات الموروث الوثني التي حاول الاسلام ان يهذبها ويشذبها صونا لكرامة الانسان.

اما طبقة الامراء والقادة والفرسان واصحاب المناصب العليا من الحاشية فقد كان تحظى باهتمام الملك وكان لهم الاقطاعات والنعم الكثيرة بحيث يصل عطاء احدهم الى خمسين الف مثقال من الذهب في السنة، فضلا عن الخيل والقماش للعناية بزيهم الذي كان يستدعي اهتمامه اثناء استعراضهم في الاحتفالات وتعبئتهم للحروب، فكان لبس الامراء والقادة الكبار عمائم تحبك مثل العرب وثياب من القطن الابيض تعرف بـ(الكيميصا) ومنهم من يرتدي زيا شبيها بالجباب المغربية ودراريع بلا تفريخ، وكانوا يحضرون مجلس الملك مرتدين الاساور الذهب فمن زادت فروسيته منهم لبس معها اطواقا من الذهب وان زادت لبس معها خلاخل ذهب، وكلما زاد وارتفع شانه البسه الملك سروالا واسعا من السرج ضيق الاكمام وكلما ازداد الفارس بطولة زاد اتساع السروال[٥٨].

اما الطبقة الثانية فهي طبقة العامة التي قسمت بحسب فئات العمل الى ثلاث طبقات اعتمدت المصادر الاقتصادية التي رافقت وجودها في تلك الارض وهي الصيد والرعي، والزراعة وان كانت الحرفة الاخيرة على نطاق محدود في بداية امرها، اذ فرضت عليها ظروف الحياة وقساوتها ان يعيش الناس على شكل تجمعات قبلية تضم في اطارها العام أسر معدودة شكل افرادها مع مرور الزمن النظام القبلي الذي مثل الوحدة السياسية والاقتصادية لهذه المجتمعات، فكان الشيوخ وكبار السن يمثلون الحكمة ولهم الراي والمشورة بينما توزعت المهام داخل الاسرة الواحدة ما بين الرجل

والمرأة، فكان من مهام الرجل الخروج الى الصيد والرعي بينما اهتمت المرأة بشؤون الاسرة والعناية بالأطفال واشتغالها بحرفة الزراعة في مزارع صغيرة بالقرب من البيوت لتأمين القوت اليومي من المزروعات، وكأي نظام قبلي تظهر فيه العصبية القبلية كانت تتضامن تلك الاسر مع بعضها البعض في الدفاع عن حمى العشيرة وافرادها واموالها[٥٩]، اما الطبقة الثالثة فهي طبقة التجار الذين كانوا يمثلون الجانب المتحضر في تلك البلاد، وقد أدى هؤلاء دورا محوريا في انتشار الاسلام في اغلب مدن بلاد السودان التي مثلت محطات تجارية كبرى، فضلا عن دورهم في ادخال البضائع والسلع المتنوعة التي شكلت عامل تحضر لمجتمع السودان، ومن هنا فقد اصبح للتجار دورا مزدوجا يجمع بين نشر تعاليم الاسلام والثقافة واللغة العربية وبين بيع السلع والبضائع[٦٠]، وقد تميز التجار عن باقي الطبقات الاجتماعية في طريقة لبسهم وطعامهم، حتى صارت لهم احياء ومحلات خاصة بهم داخل المدن[٦١].

اما الطبقة الرابعة فهي طبقة العبيد الذين مثلوا ادنى مستوى في السلم الاجتماعي، إذ كان الاعم الاغلب منهم يعيش حياة الفقر والجوع والحرمان في حين وقع على عاتقهم الجزء الاكبر من الاعمال، فضلا عن الاستفادة منهم كبضاعة رائجة في التجارة، فكان سكان مدن سلى[٦٢] وتكرور وغانة وبريسى[٦٣] وغيارة[٦٤] يعملون على جلب العبيد ليتاجروا بهم عن طريق الاغارة على بلاد لملم وغزوها ليأتوا بأهلها اسرى يبيعونهم كسبي الى التجار الوافدين من الشمال[٦٥]، فكانت تجارة الرقيق رائجة في تلك الحقبة، فلا تخرج قافلة من بلاد السودان الغربي الا وتضم اعدادا كبيرة منهم، وقد شهد ابن بطوطة احدى القوافل وهي تحمل بحدود ستمائة عبد[٦٦].

ويمكن تقسيم هذه الطبقة الى اربع فئات، مثلت الفئة الاولى منهم عبيد الطبقة الارستقراطية الذين يعيشون في داخل قصور الملوك والامراء، يستخدمونهم حرسا وخدما، بل ويهادون بهم الى الضيوف من باب الاكرام[٦٧]وقد يرتفع شأن احدهم ليكون على رأس الجهاز الاداري المسؤول عن الاقطاع والاملاك، ومنهم من يرتقي المناصب داخل الجيش ليكون فارسا له نفوذه القوي، اما الفئة الثانية فهي التي يتمتع اصحابها

ببعض الحقوق منها انه يمكن ان تتبناهم الاسر ليكونوا قادرين على الزواج من النساء الحرائر، اما الفئة الثالثة فهي فئة العبيد الحرفيين الذين يعملون في الاسواق والمتاجر، ثم تأتي الفئة الاخيرة التي شكلت رقيق الارض[٦٨]، وقد استغل ملوك مالي وجود الاعداد الكبيرة من العبيد فكانوا يستغلونهم في استخراج الذهب وجمعه مقابل اسقاط الجزية التي كانوا يدفعونها[٦٩].

وبعد هذا الموجز نخلص الى القول بان مجتمع مملكة مالي كان خليطا من الاجناس المختلفة الذين شكلوا القوى الفاعلة في حركة التاريخ على مدى القرون، فكان اغلب سكان المدن تتفاوت في مستواها المعاشي والثقافي والديني بحسب الطبقة التي ينتمون اليها مع الاشارة الى هذه الطبقات تبقى مغلقة على نفسها ونادرا ما يحدث ان يتحول الشخص من طبقة الى اخرى.

٢- اللباس وظاهرة العري

قبل الخوض في شكل الملابس ونوع القماش المستعمل الذي يمثل الزي الرسمي والشعبي الذي يرتديه سكان السودان الغربي بمختلف طبقاتهم ابان حكم مملكة مالي، نشير بتحليل موجز لظاهرة التعري التي ظلت سمة بارزة في المجتمع السوداني مع وجود الاسلام كديانة رسمية للدولة فقد اشار اكثر من مؤرخ الى ان ظاهرة عدم ارتداء الملابس كانت شائعة في اغلب مدن بلاد السودان الغربي زمن مملكة مالي، وهي ظاهرة عامة لم تكن تقتصر على فئة دون اخرى من طبقات المجتمع وهي لا تعكس ثقافة الشعوب السودانية بقدر ما تكون سمة فرضتها عوامل عدة في مقدمتها ان تلك الشعوب ومنذ القدم كانت تعيش حالة من العزلة فصلتها عن غيرها من الشعوب المتحضرة بحكم الموقع الجغرافي، وهذه العزلة جعلتهم يتبنون نمط من الحياة البدائية البسيطة التي اشبه ما تكون بحياة الانسان القديم، فلم يكونوا يفقهوا لمعنى الستر او يهتموا بقيمة الجسد لانهم يمارسون حياتهم مثل باقي المخلوقات حتى وصفوا بانهم اشبه بالبهائم[٧٠] يأكلون ما تقع عليه اعينهم وينامون في الحقول والكهوف والخيام وفوق الاشجار ويمارسون الغرائز بعفوية وفطرة، اما العامل الاخر فهو يتعلق بطبيعة المناخ

اذ ان الانسان جلب فطريا ان يلجأ الى تغطية جسده بأي شيء كان مثل الجلود او اوراق الاشجار طلبا للدفء في الايام الباردة ومع ما اشتهرت به تلك البلاد من شدة الحر في اغلب مناطقها مع طول فصل الصيف الذي تهب فيه رياح شديدة الحرارة فرضت هذه الظروف على السكان التعري[٧١]، فضلا عن ذلك يبدو ان تلك الشعوب لا تحفل بمسألة ستر الجسد وموضوع العفة والكرامة والاحتشام لانهم يعتقدون ان ذلك جزء من نمط حياتهم ويتعاملون معه بفطرة سليمة، ومع كل ذلك فان المتتبع لهذه الظاهرة يجد انها لم تكن ظاهرة عامة في كل المدن، وقد تجد في المدينة الواحدة اناس يرتدون الملابس وآخرون عراة.

ومن دلائل التأثير الذي احدثه الاسلام ما اشار البكري من ان ملك مالي المدعو بـ(المسلماني) كان عاريا قبل اسلامه فلما اسلم على يد احد المسلمين علمه الفرائض والسنن وألبسه ثوبا من القطن وكسر الاصنام واخرج السحرة من بلاده، لكن سكان مملكته بقوا على الوثنية ومعتقداتها[٧٢]، ومع تطور الحياة وازدهارها صار للملك وامراءه زيا خاصا بهم فلا يحق لغيرهم من سائر الناس ارتداء المخيط من القماش، وصار يتحلى بحلي النساء وفوق رأسه الطراطير المذهبة عليها عمائم القطن الرقيقة[٧٣]، ومع مرور الزمن تطورت الازياء التي يرتديها الملك وحاشيته فصار يرتدي أزار حرير يتوشح به او بردة يلتف بها وسراويل في وسطه، وفي قدميه نعل شركي[٧٤]، ثم تطور زمن الملك منسا موسى فصار يلبس عمامة ترخى منها عذبة بين يديه وسراويل عريضة لا يتجاسر على لبس مثلها احد من اهل مملكته[٧٥]، اما في زمن الملك منسا سليمان فقد كان اكثر لباسه عبارة عن جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التي تسمى المطنفس[٧٦] وهذه الاشارة تعطينا تصورا لما بدأ يطرأ على زي ملوك السودان الغربي من تطور وذلك بسبب توسع العلاقات السياسية والدبلوماسية والتجارية وتأثر الملوك بمراسيم سلاطين الدول الاخرى، لكن ذلك لم يمنع وجود سلوكيات مستهجنة في المملكة بل وحتى في داخل قصر الملك، إذ نقل لنا ابن بطوطة وهو شاهد عيان على الواقع الاجتماعي والسياسي لمملكة مالي من جملة العادات القبيحة جدا والمستهجنة ان الخدم والجواري في قصر الملك كلهن عرايا باديات العورة دون اي

ستر حتى في شهر رمضان، وحدث ان الملك غضب على بنات عمه بسبب شكوى من أحدى زوجاته، ولم يعفو عنهن الا بعد ان تجردن من ثيابهن ودخلهن الى مجلسه عرايا على رؤوسهن التراب ولمدة اسبوع(٧٧)، ولعل هذا السلوك القبيح يثير الاستغراب بل والاشمئزاز إذا ما علمنا ان هذا الملك كان مقيما للصلاة، ومحتكما بالشريعة، ويجلس للمظالم يقضي حوائج الناس (٧٨).

اما سكان المدن فذكر ان الغالب على لباس سكان بلاد التكرور وغيرها من البلاد الجلود، واذا احتشم احدهم لبس الجلد مدبوغا، ومن خالط البيض – يقصد التجار والبربر ساكني الصحراء– اتخذ لباسه من الصوف والقطن، بينما بقي سكان ظواهر المدن الكفار منهم عراة والمسلمين يسترون فروجهم بالعظام او الجلود(٧٩)، وذكر القزويني ان اهل تلك البلاد خليط من الكفار والمسلمين وكان المسلمون يرتدون قمصانا بيض يبلغ طولها عشرون ذراعا يحملها من الخلف خدمهم، اما الكفار ولا سيما النساء فانهن يسترن قبلهن بخرزات من العقيق على شكل خيوط والميسورة الحال تستعمل خرز من العظام(٨٠) وقد اشار اكثر من مؤرخ الى ان سكان مدينة سامة(٨١) كانوا يتجولون عراة لكن المرأة كانت تستر فرجها بسيور مظفورة(٨٢)، وان أهل كوكو عراة مهملون، وبعضهم يرتدي الملاحف وثياب مصنوعة من الجلد(٨٣)، وبعضهم يرتدي الجلود لستروا عوراتهم وتجارهم يلبسون القداوير والاكسية وعلى رؤوسهم الكرازي وحليهم الذهب ، اما الخواص فيلبسون الازر، في حين ان الطبقة العامة في مدينتي سلى وتكرور ترتدي القداوير الصوف وعلى رؤوسهم الكرازي الصوف، بينما الطبقة الخاصة ترتدي ثياب القطن والمآزر، اما سكان مدينة غانة فكانوا يرتدون الاكسية والازر والفوط وكل اسرة ترتدي بحسب قدرتها المالية، ولبس سكان بلاد ونقارة فهو الازر والاكسية والقداوير، بينما يرتدي سكان مدينة غربيل (٨٤) الصوف (٨٥)، وخلاصة القول ان عامة سكان بعض مدن السودان الغربي لم يتأثروا بالإسلام من ناحية ستر الجسد والحجاب وظل التعري ظاهرة مستهجنة من قبل الوافدين اليهم وبعض المحليين الذين التزموا شرائع الاسلام وسننه في الاحتشام.

٣- الديانات والطقوس والمعتقدات

ظل مجتمع مملكة مالي الاسلامية متمسكا بحكم البيئة وموروثاتها ببعض المعتقدات المترسخة منذ القدم ولم يتمكن الاسلام بقوة تأثيره المعروفة ان يغير المفاهيم الالحادية والشركية والوثنية، مع محاولته فرض سيطرته على بعض المدن وانتشاره تدريجيا على يد الدعاة والتجار واندفاع ملوك مالي نحو تثبيت القيم والمبادئ الاسلامية وترسيخها في المدن عن طريق بناء المساجد والمدارس وارسال العلماء الى المناطق البعيدة، لكن مدنا عدة بقيت تحتفظ بإرثها الاعتقادي المبني على عبادة الظواهر الطبيعية والارواح والاصنام وبعض الحيوانات بوصفها آلهة قادرة على تغيير الاقدار وجلب الخير ودفع الشر، وبعضهم كان يعبد الشمس ويسجد لها حال بروزها في الافق، وبعضهم يبعدون النار كسكان مدينة ولاتة [٨٦]، بينما سكان مدينة كوكو مسيحيون على الطريقة المصرية[٨٧]، ولذلك نجدهم يقدمون القرابين البشرية والحيوانية والمادية لما يعتقدون به انه آله، وكان الكاهن يمثل حلقة الوصل بين الآلهة والاسرة وله سلطة روحية على الملوك والعامة فهم يستشيرونهم ويأخذون بما يظهر في قراءة الطالع، لكنهم مع هذا تجدهم يؤمنون بوجود الاله الاعظم الذي يتحكم بالآلهة الصغرى[٨٨]، وتجدهم متفقون على ذلك لكنهم مختلفون في تقدير سلطاته في تصريف الامور وانه بعيد جدا يصعب التواصل معه، لذلك نشأ عندهم معتقد عبادة ما دونه[٨٩]، وقد اشار البكري الى هذه المدن وما كانت تعتنق من الديانات والمعتقدات فذكر ان مدينة غانة التي كانت مقسمة الى قسمين احدهما للمسلمين والاخر للملك الذي يسكن حوله الوثنيين وسحرتهم الذين يقيمون دينهم في قباب وغابات وشعراء[٩٠] فيها دكاكيرهم[٩١]، بينما اشار الى ان اهل مدينتي تكرور وسلى مسلمون وان المسافة الفاصلة بين سلى وغانة تسكنها قبائل اكثرهم كفار على دين المجوسية لذلك نجد ان ملك سلى دائم الحروب معهم، وان سكان مدينتي برسنى [٩٢]وكوغة [٩٣]مسلمون يحيط بهم الكفار من جميع الجهات، ويبدو ان مدينة كوغة كان يخالطها الوثنيين فاذا ما قويت شوكتهم في داخل المدينة اخفى ملكها اسلامه وتظاهر بالشرك، بينما سكان مدينتي قلنبو [٩٤]والفوريين [٩٥]على الكفر، ومن الجدير بالذكر ان مدينة ترنقة [٩٦] كانت لهم احكام

خاصة بعيدة تماما عن الشرع الاسلامي سنوردها في حينها، وان سكان مدينة زافقو [٩٧] كانوا يعبدون حية كبيرة الحجم لها عرف رأسها يشبه رأس الابل الخراسانية، تعيش داخل مغارة وسط الصحراء يغطي مدخلها الاشجار على شكل عريش تحيط به الاحجار، وكانوا يقدسونها لدرجة انهم يعقلون في الاشجار انواع الثياب النفيسة ويضعون المتاع وجفان الطعام واللبن والشراب، فاذا أرادوا اخراجها من المغارة تكلموا بكلمات معلومة وصفروا تصفيرا فتخرج لهم[٩٨]، ويبدو ان مجتمع هذه المدينة ظل متمسكا بتقاليده واعتقاداته القديمة على الرغم من وجود الدين الاسلامي لقوة نظامه الاجتماعي في مسألة المعتقدات الدينية، وقريبا من ذلك فقد كانت مملكة الدمدم او لملم في الجنوب الغربي من مالي يعبدون صنما على هيئة امرأة وضعوه في قلعة كبيرة وهم يحجبونه[٩٩].

ومن المعتقدات السائدة وسط قبائل الماندنجو المؤسسين لمملكة مالي انهم يعتقدون بان لكل انسان (ظل ونسمة) وعندما يموت الانسان تصعد النسمة الى السماء وكأنها الروح بينما يبقى الظل في البيت حتى تنتهي مراسم الجنازة والدفن ثم يبقى هذا الظل هائما في رحلة تتجاوز الخمسين عاما الى ان تلتحق بالنسمة في السماء[١٠٠]، ولعل من بين الاسباب التي جعلت تلك الشعوب تتمسك بمعتقداتها الدينية وتؤطرها باطار من الجلال والقدسية انها تثير في داخلهم الخوف من العقاب الآخروي الذي يمكن ان تنتظره ارواحهم بعد الموت لذلك كان من الصعب على بعضهم تقبل فكرة الدين الاسلامي كونه يحمل نفس الفكرة لكن بمفهوم الجنة والنار.

٤- المقابر ومظاهر دفن الاموات

لكي يكتمل سياق البحث وتتحقق وحدة الموضوع لابد ان نتطرق الى موضوع المقابر وكيفية دفن الاموات في بلاد السودان الغربي، فقد جاء الاسلام ليكرم الانسان بعد وفاته وشرع له شعائر خاصة يقوم بها ذويه منها اقامة مجلس العزاء وقراءة القرآن الكريم وتقديم الصدقات للفقراء والمساكين ثوابا لروحه، ثم القيام بمراسيم الدفن إذ جاء في الاثر القول المشهور " اكرام الميت دفنه " يسبقها الصلاة عليه وتغسيله وتكفينه ثم

يتم لحده في قبره، وهذه التعاليم والسنن والشرائع وصلت الى تلك البلاد عن طريق الدعاة والعلماء والتجار الذين وفدوا الى بلاد السودان الغربي وانشأوا المدارس داخل المساجد التي بنيت هناك[١٠١] لكننا وعن طريق ما ورد من نصوص في كتب التاريخ وما رصدناه في بعض المصادر من اشارات حول موضوع دفن الاموات والمقابر وجدنا ان من بين سكان بعض المدن من تمسك بطقوسه الوثنية في دفن الاموات ولم يتأثر الجميع بتعاليم الاسلام في هذا الشأن، فذكر البكري ان هناك طقوس خاصة بدفن الملوك يمارسونها في مدن بلاد السودان الغربي قبل قيام مملكة مالي الاسلامية، تقوم على نصب قبة كبيرة من خشب الساج يضعوها فوق موضع القبر المهيأ مسبقا ثم يأتون بالملك المتوفي على سرير ممهد قليل الفرش ليدخلوه في تلك القبة ويدخلون معه سلاحه وحليه والاواني التي كان يأكل ويشرب بها يحملها الخدم من الرجال وهي مليئة بالطعام والشراب ثم يغلقون باب القبة ويلقون عليها الحصر والامتعة ثم يردموها بالتراب حتى تصبح مرتفعة كالجبل ثم يحفرون حولها خندقا كي لا يصل اليها احد الا من جهة واحدة، لتنتهي المراسيم بتقديم القرابين فيذبحون الذبائح ويقدمون الخمور ومن هنا كانت هذه القباب منتشرة بشكل ملفت للنظر في مدينة الملك التي تحيط بها الغابات[١٠٢]، ويتضح من هذا النص ان سكان السودان الغربي كانت لهم طقوس وممارسات خاصة بدفن الاموات بعيدة كل البعد عما جاءت به تعاليم الاسلام وهي دلالة على تمسك هذه الشعوب بتراثها التعبدي القديم المبني على عبادة الظواهر الطبيعية والارواح او الحيوانات، كما يلاحظ انهم يعتقدون بوجود الحياة بعد الموت لذلك كانوا يدفنون مع الملك اشياءه الخاصة وخدمه الذين يكتب عليهم الموت بعد موت الملك وهي معتقدات شائعة في الديانات القديمة.

وفي جانب آخر ذكر ابن سعيد ان في قبيلة (جابي) مثلا وما جاورها من سكان المدن في محيط بحيرة تشاد هي بمجملها مدنا يسكنها الكفار لهم عادات خاصة منها انهم يأكلون البشر كما يأكلون الحيوانات وانهم يبردون اسنانهم، واذا مات لهم ميت دفعوه الى جيرانهم وكذلك يفعل جيرانهم[١٠٣]، ويبدو ان عملية تبادل الاموات بهذا الشكل ربما توحي بتقليد عرفي بعدم استحسان تناول لحم الاقارب من الاموات لذلك

يقدموه الى جيرلنهم من القبائل الاخرى لغرض الاكل لا لشيء آخر، إذ انه لم يتطرق بالشرح او الاشارة الى طقوس معينة ضمن عملية تبادل الاموات.

وفي سياق متصل اشار العمري الى هذه الجزئية فذكر ان عادة أهل مملكة مالي اذا مات لهم ميت من ذوي القدر والحشمة والجاه دفنوه في مقابر خاصة، اما عدا ذلك من البسطاء والفقراء والعبيد والغرباء فانهم يرمونه بالفلاة دون تورية او دفن كما ترمى باقي الميتات[١٠٤]، ويدلل هذا النص بالعموم انه بالرغم من شيوع الاسلام في المملكة الا ان ترسبات الحياة الوثنية لا زالت تمارس ضمن معتقدات خاطئة لم يستطع الاسلام تغييرها او رفضها او منعها، ومع هذا فانه اشار في موضع آخر وهو يتحدث عن حيوان يسمى (تُرمّي) اشتهر وجوده في مملكة مالي كان يعمد الى نبش القبور ليأكل الموتى[١٠٥] وهذا مصداق على وجود مقابر ومدافن خاصة بالأموات لكنها فيما يبدو وجدت مع ازدياد اعداد المسلمين في مدن مملكة مالي فشهدت مراسيم الدفن تطورا مشهودا بيد ان ابن بطوطة ذكر اثناء دخوله مدينة مالي مقبرتها واثناء تجواله في تلك المدينة والمدن الاخرى انه شاهد مقابر خاصة وقبور شاخصة كتب عليها اسماء المتوفين[١٠٦]، وهذا ما شهدته مدن السودان بعد انتشار الاسلام فاصبح لديهم وعيا وفهما للشرائع والاحكام التي من بينها اكرام الاموات ودفنهم في مقابر خاصة تسور بسياج في رحاب المساجد وحواليها من الخارج[١٠٧].

٥- مظاهر السحر وصناعة السموم

مثل السحر والشعوذة في بلاد السودان الغربي نقطة ارتكاز العقائد الوثنية لدى السكان فكان مجتمع السحرة يحظى بمكانة عليا اشبه بالمكانة التي يمتلكها المعلمون ولهم نفوذهم القوي[١٠٨] عند الملوك والامراء وزعماء القبائل ورؤساء الاسر الكبيرة، لما يرتبط وما يقولونه بالحياة العامة سواء بما هو حاصل او بالتنبؤ بما يحصل في المستقبل، أو ما يتعلق بالاعتقاد السائد بان لهم القدرة على الاتصال بأرواح الاموات ومخاطبتها، بل وان لهم القدرة على اصطياد بما يعرف بـ(النفس الشفافة) التي تستيقظ في المرأة بعد زواجها والقضاء عليها[١٠٩]، ولذلك وجد السحرة من يستمع الى كلامهم

لاسيما وان تفشي الجهل كان من الظواهر البارزة في تلك المجتمعات، فضلا عن ان هذه الحرفة ان صح تسميتها كانت مصدر للكسب المادي والجاه والسلطة، والسحر في بلاد السودان الغربي على نوعين، السحر الابيض والسحر الاسود وان قوة تأثير الساحر في معتقد بعض القبائل تنحصر داخل القبيلة الواحدة[١١٠] ولذلك اشتهرت مملكة مالي بوجود عدد كبير من السحرة في مختلف المدن وقد اشير الى ان السحر في مدينة غانة كثير للغاية بحيث يتحاكم الناس عند ملكهم بسببه فيقال ان فلانا قتل بالسحر اخي او ولدي او بنتي او اختي ويحكم على القاتل بالقصاص ويقتل الساحر لجرأته وفعله[١١١]، واشتهرت مدينة كوغة بنسائها الساحرات المتمكنات منه والعارفات به والقادرات عليه إذ كانت لهم فيه حذق وصناعة[١١٢] وقد ساد الاعتقاد ان القوى الخفية التي تساعد الانسان تتركز في بعض اعضاء الجسم الداخلية مثل المرارة والكبد والطحال لذلك فهم يعتقدون ان الساحرات المتميزات بالجدارة والقدرة تكون عندهن تلك الاعضاء ضخمة، ومع كل ذلك فانهم يستعملون في تحضير السحر موادا عدة مستخرجة من اخشاب بعض انواع النباتات وما تفرزه من سوائل وبعض المساحيق لاعتقادهم ان في الاشجار ارواحا تكمن فيها قوى عظيمة، وكذلك من بعض الحيوانات لاعتقادهم ان القوة تتركز في جزء من الحيوان مثل الاذن او الذنب او الشارب او المخلب، فاذا قتل الحيوان اخذ الساحر ذلك الجزء واستغله في السحر، وكان من بين ادواته التي يحملها معه في خرج مصنوع من جلد الماعز، فضلا عن جذور بعض النباتات، وخيوط القطن، ووعاء من الطين اليابس، وتمثالان لرجل وامرأة، ونصلان مقوسان، واجراس اسطوانية، وصرة مملوءة بالودع وقرون مزركشة[١١٣]، وتكمن وظيفة الساحر في استحضار الاجابات الشافية من عالم الغيب عن الاسئلة التي تطرحها الناس حول قضايا تخصهم افرادا وقبائل، مثل طلب الشفاء من مرض او طرد الجن او تحقيق امنية او اسقاط المطر وهو من اهم المطالب اثناء حلول الجفاف بوصفه مطلبا دينيا يتوارثه الابناء عن الاجداد، وكذلك ما يتعلق بالحسد أو ما يعرف بـ(ضربة العين) والتي هي من الامور السائدة التي يعتقد بها سكان مدن السودان الغربي لما تسببه من مرض او موت فتلجأ الاسر الى الساحر من اجل الخلاص منها، وعندما يستحضر

الساحر الاجابة عن طريق ممارسة طرائق معينة وعادة ما يكون ذلك الاستحضار مقرون بإشارة او دلالة مبهمة وغامضة، ثم يبدأ بالإفصاح عن الاجراءات والمتطلبات الواجب اتباعها وتحضير بعض الطلاسم والتعاويذ اللازمة ممن المواد المتاحة لدية[١١٤].

وتعقيبا على مطالبة الساحر بإسقاط المطر نستذكر ما جاء على لسان البكري من رواية ان ملك مالي الذي يدعى بـ(المسلماني) كان قد عجز من محاولات السحرة في بلده من اسقاط المطر بعد حلول القحط مما اضطره الى اللجوء الى احد المسلمين الاتقياء الذي كان يتواجد في بلده ودعاه الى طلب المطر من إلهه الذي يعبده فاشترط عليه ذلك المسلم الدخول في الاسلام والاخلاص للواحد الاحد اله الكون والايمان بمحمد صلى الله عليه وآله نبيا ورسولا، وبالفعل اسلم ذلك الملك وارتدى الثياب وتطهر ثم صعدوا معا على ربوة وبدأ المسلم بالدعاء والملك يؤمن له، ولم تمضي الليلة الا والمطر بدأ بالتساقط مما ولد قناعة لدى الملك بعظمة هذا المعبود وبعدم الثقة بآلهة السحرة لذلك قام بطردهم من مدينته[١١٥].

اما السموم فكانت لهم فيها عناية وتخصص يستخرجون من بعض الحيوانات السموم القتالة التي لا دواء لها ومن بين تلك الحيوانات بعض انواع الاسماك ومرارة التمساح التي كان يحتفظ بها الملك في خزانته[١١٦] ، وكذلك من بعض الحشائش التي يركبون منها السموم القاتلة[١١٧].

٦- البيع والشراء (العملة والموازين)

لم يتطرق المؤرخين الاوائل الى العملة الرسمية لمملكة مالي الاسلامية التي كانوا يتعاملون بها في البيع والشراء ولا الى المكاييل والموازين التي توزن بها بعض السلع والحاجات، سواء في تبادلهم التجاري أو في تعاملاتهم اليومية في الاسواق، ولم يشيروا الى وجود اماكن لسك العملة في تلك البلاد، وكل ما ذكروه لا يتعدى الاشارة الى نظام المقايضة التي مثلت الوسيلة الوحيدة في التبادل التجاري والتعامل في البيع والشراء، في الوقت الذي كانت التجارة مع بلاد السودان الغربي في اطوارها الاولى تقوم

على ما عرف قديما باسم (التجارة الصامتة)[١١٨] وهي مرحلة متقدمة من التبادل التجاري وجدت بعد محاولات التجار المسلمين اختراق الصحراء الكبرى واكتشافهم لمناطق بلاد السودان في الجنوب، فكانت السمه العامة للتبادل ان السلع تقايض بالذهب جزافا[١١٩]، أي من دون وزن او مكيال وكان لقيامها في بداية الامر اسبابا لا يسع البحث لذكرها الا انها بقيت تمارس في الاطوار الاولى للعلاقات المتبادلة ثم انتفت الحاجة اليها بعد تجاوز التجار الحدود المسموح بها آنذاك لاطمئنان اهل السودان الغربي وادراكا منهم ان لا ضرر يمكن ان يلحق بهم نتيجة الاحتكاك بالتجار الغرباء فصار التجار يخالطون السودان حتى صارت لهم بيوت خاصة بهم يقيمون بها، ومع هذا فقد استمر العمل بنظام المقايضة في تبادل السلع البسيطة وغيرها بالذهب، إذ شكل عامل اثراء للتجار، فذكر البكري وهو يتحدث عن بعض مدن بلاد السودان الغربي بان مقايضة الذهب (التبر) بالملح وغيرها من المواد هي الشيء المتعارف عليه في اغلب المدن، ومن بينها مدينة الفرويين التي كان اهلها يقايضون الذهب بالملح، وأهل مدينة سلى يقايضون الذرة والملح وحلق النحاس وأزر القطن، وان عملة اهل مدينة كوكو هي الملح وهو نقدهم، اما عملة أهل تادمكة[١٢٠] فهي الدنانير التي تسمى (الصلع) بوصفها ذهب خالص غير مختوم[١٢١]، وهي اشارة الى ظهور اول نوع من العملة وتطور في التعاملات التجارية لكنه لم يعطينا تفاصيل وافية عن صفة هذه الدنانير او مقدار وزنها من الذهب أو طريقة سكها، لكن المرجح انها من الدنانير المرابطية التي كانت حاضرة في التعاملات التجارية في مدن الصحراء وجنوبها والتي تم سكها في عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م في مدينة سجلماسة[١٢٢]التي استخدم فيها الذهب السوداني[١٢٣] كما ذكر في موضع اخر ان ملك غانة كان يفرض على كل حمل حمار ملح يدخل للبلد دينار والذي يخرج منه ديناران[١٢٤]، وربما يكون ما ذكره ابن حوقل من وجود تعامل بالدنانير يشكل دليلا آخر اسبق مما ذكره البكري لكن ترجيحنا لها انها دنانير مغربية تعامل بها التجار في بلاد السودان[١٢٥] ويؤكد صاحب الاستبصار[١٢٦] على ما جاء به البكري في استمرار نظام المقايضة مع مرور الزمن، فيما اشار الادريسي الى ذلك ايضا بان التجار يتباضعون فيما بينهم بنظام المقايضة،

وان مايحصل عليه التجار المسلمون من اهل المغرب الاقصى من التبر يذهب الى دور السكة فيضربونه دنانير لغرض التجارة[١٢٧] مع البلاد الاخرى، وعطفا على ذلك يرفدنا ابن بطوطة بدلالات عديدة عن استمرار التعامل بنظام المقايضة الى عهده وان التعامل بالملح ظل قائما الى وقت متأخر من قيام المملكة فذكر ان السودان كانوا يتصارفون به كما يتصارف بالذهب والفضة فيقطعونه قطعا صغيرة، لكنه لفت انتباهنا الى ان الملح لم يعد يقايض بالذهب جزافا بل صار له مقابل يكافئه فكان حمل بعير من الملح يباع بعشرة مثاقيل في مدينة ولاته، وفي مدينة مالي ما بين عشرين الى ثلاثين او ربما ارتفع الى اربعين مثقالا من الذهب، وأشار في موضع آخر حين وصف حاله اثناء شراءه الطعام والسمن وكيف قايضه بالملح والعطريات وحلي الزجاج وهذا حال سكان المناطق المحصورة ما بين مدينة تكدا[١٢٨] وصحراء توات الذين يقايضون اللحم واللبن والسمن بالأثواب، بينما في خارج مدينة تكدا يكثر النحاس فكانوا يستخرجونه ويسبكونه في بيوتهم على شكل قضبان رقيقة وغليظة تباع الرقيقة كل ستمائة او سبعمائة بمثقال من الذهب اما الغلاظ فكل اربعمائة بمثقال[١٢٩]، بينما اشار العمري الى ان قيمة بيع مائة مثقال من النحاس بستة وستين مثقال من الذهب وثلثي المثقال[١٣٠] وهم يتصرفون فيه في مقايضتهم وكأنه عمله رسمية يوفرون عن طريقها احتياجاتهم الضرورية فكانت القضبان الرقاق تقايض باللحم والحطب، والغلاظ منها يقايضون بها العبيد والخدم والذرة والقمح والسمن، ومن الجدير بالذكر ان هناك ما يمكن ان يمثل عملة بنظر سكان السودان الغربي الذين يهتمون بها ويسعون الى امتلاكها بشتى الطرق وهي (الودع) فيتبايعون بها فيما بينهم، وقد رصدها ابن بطوطة بقوله ان تعامل سكان مملكة مالي والمدن التابعة لها اثناء البيع والشراء بـ (الودع)[١٣١]، وقد نشط التجار المسلمون بجلب هذه المادة الى بلاد افريقيا جنوب الصحراء لما تحققه من مردود مالي جليل بالنسبة لهم[١٣٢] ، ويبدو ان التعامل بالودع استمر الى وقت متأخر فقد ذكر الحسن الوزان ان تعامل الناس بالودع الذي اسماه (الصدف) الذي يحمله التجار المصريين فكانت كل اربعمائة قطعة تساوي مثقال من الذهب، وهي عملة يتبايع بها سكان السودان في بعض المدن مقابل اشياء تافهة

بحسب زعمه، واشار في موضع آخر ان العملة الرائجة هي الذهب غير المسبوك وقطع الحديد لشراء اللبن والخبز والعسل، إذ تزن القطعة الواحدة بحسب حجمها رطلا أو نصف رطل، أو ربع رطل[١٣٣].

ومما تجد الاشارة اليه هو غياب ذكر الاوزان والمكاييل التي يتعامل بها التجار في داخل اسواق مملكة مالي في المصادر التاريخية مع ان علماء الاثار قد عثروا على مقتنيات في خرائب بعض المدن القديمة من بينها موازين لوزن الذهب[١٣٤] الا ما ذكره ابن بطوطة في مشاهداته عن تعامل التجار بأسواق مدينة تكدا ومن يفد اليها من الغرباء بانهم كانوا يشترون القمح بحساب عشرين مُداً[١٣٥] بمثقال ذهب، والذرة تباع كل تسعين مُد بمثقال ذهب، وان مقدار المُد عندهم ثلث المُد في البلاد الاسلامية في الشمال[١٣٦]، والجدير بالملاحظة انهم حتى مع وجود وحدة قياس الاوزان الا انهم اجتهدوا في مقدارها بحيث انقصوها بمقدار الثلثين عن وزنها الشرعي على وفق ما اقره الدين الاسلامي.

وخلاصة القول ان العملة في بلاد السودان الغربي لم تظهر لها ملامح واضحة او شكل معين مثلما كانت عليه في بلدان الشمال الافريقي، ولم يشتهر على لسان المؤرخين وجود دور للسكة او ختم معين في تلك البلاد خلال الحقبة موضوع البحث، لكن اللافت للنظر ان البيع والشراء صار يقايض بالذهب على حساب المثاقيل وليس جزافا كما تعارف عليه في السابق[١٣٧] ولو ان احد الباحثين اشار الى ان مملكة مالي تمكنت من ضرب عملة ذهبية محلية تزن من ٤-٦ غرام من الذهب[١٣٨] ، لكنه لم يعطينا وصفا دقيقا لنوعيتها او حجمها او شكلها او طريقة سكها، فضلا عن انه لا يشير الى مصدر هذه المعلومة لتبقى شيء مبهم وغامض.

٧- الامراض وطرق التداوي والعلاجات

تعد الامراض واحدة من اشد الاخطار التي كانت تحاصر المجتمع في مدن بلاد السودان الغربي، والتي لا تميز بين غني او فقير او صغير او كبير في ظل شيوع عدم الاهتمام بالنظافة وكثرة الاوساخ وعدم وجود الحمامات والمرافق الصحية

النظيفة، وانتشار الحشرات الناقلة للجراثيم، فضلا عن ممارسة الجنس بكثرة دون ضوابط شرعية واخلاقية، وتناول مختلف انواع الدواب دون مراعاة لتأثيرها على الصحة، وكثيرا ما كانت الامراض تفتك بسكان المدن بسبب سوء الطعام والاغذية غير الصحية[١٣٩] مع عدم وجود علاجات ناجعة إذ انهم يستعملون الكي بالنار وبتر الاعضاء، وبعض الاعشاب والزيوت والسوائل التي يستخرجونها من انواع الاشجار وبعض الحيوانات، فضلا عن استعمالهم لبعض المعادن فذكر البكري ان غانة كانت مدينة موبوءة فلا يكاد الداخل اليها يسلم من المرض لاسيما في موسم نضوج المحاصيل ولذلك يلجؤون الى مغادرة المدينة ولا يقيمون فيها مدة من الزمن فيقع الموت في غربانها التي تأكل الزرع[١٤٠]، ويبدو ان احد اسباب تفشي الامراض هو بعض انواع الحشرات التي تتغذى على ثمار بعض النباتات السامة فتنقل المرض الى السكان، وقد اشار ابن بطوطة الى ذلك اثناء حديثة عن مدينة تغازى[١٤١] على سبيل المثال لا الحصر اذ كانت كثيرة الذباب وان القمل يكثر في شعور السودان فكانوا يقتلونه بمادة الزئبق يضعونه في اعناقهم على شكل خيوط كالقلائد[١٤٢]، بوصفه مادة طاردة للحشرات، وفي سياق متصل ذكر انه اصيب بالمرض بسبب الحر الشديد وغلبة الصفراء حال انصرافه من مدينة مالي في الطريق الذي يقطعها الخليج الذي يخرج من نهر النيجر وهو مكان يكثر فيه البعوض نهارا فلا يمر به احد الا في الليل وكانت اعراض المرض قد ظهرت عليه وهو في مدينة تنبكتو[١٤٣]، وكان من فنون علاجهم لمرض ارتفاع درجة حرارة الجسم مايسمى بـ (الحمى) عن طريق استعمال ثمرة شجرة لاراك التي تشتهر بها مدينة تادموت تشبه البطيخ في داخله مادة شبيه بالقند تشوب حلاوته بحموضة[١٤٤] تعمل على خفض حرارة المريض، وذكر ان سكان السودان يستعملون بعض العقاقير الشعبية المستخرجة من نوع آخر من الاشجار يعرف باشجار (الغور أو الكور) التي تحتوي على مادة منشطة تشعر ماضغها بالنشاط لذلك دأب التجار على استعمالها اثناء قطع الصحراء من دون الشعور بالعطش او الجوع او الاعياء الشديد[١٤٥]، فصار عندهم تقليد بانهم يتهادون هذه الثمرة فيما بينهم لاهميتها في حياتهم.

اما طريقتهم في علاج لسعات الافاعي فانهم يقومون اولا بكي مكان اللسعة بحديدة محمرة وان لم ينفع يقومون بذبح بعير ثم يفتحون كرشته فيدخل المصاب يده داخل الكرشة لمدة ليلة كاملة فان شفي كان بها وان تناثر لحم يده يقومون ببترها(١٤٦).

وكان في بلاد الفرويين بحيرة تنبت فيها شجرة عجيبة في جذورها علاج لتقوية الباه فاذا اخذ منه الرجل القليل منحه نشاطا وقوة في الجماع وتساعد في تقوية الاخصاب وعلاج العقم ولذلك كان الملك يحتكره لنفسه ويمنع الناس منه لعظيم ما عنده من النساء، فكان يطوف عليهن في اليوم الواحد ولا ينكسر(١٤٧)

٨- العادات الاجتماعية المستهجنة

كان المجتمع في مملكة مالي واقعا تحت تأثير ممارسات وسلوكيات اجتماعية واخلاقية قبيحة ومظاهر شوهت كرامة الانسان وجعلته اقرب الى الحيوان، ومع قوة تأثير الاسلام فانه لم يتمكن من القضاء عليها بالكامل، وقد أكد اكثر من مؤرخ هذا الامر فذكر ان هذه السلوكيات والحالات والظواهر الاجتماعية من المطاعم والمشارب والملبس والسكن يفعلها اكثر سكان السودان وانها كانت موجودة قبل دخول الاسلام واستمروا عليها ولم يتركوها بعد انتشاره(١٤٨) وقد اشرنا مما سبق الى ظاهرة التعري عند سكان بعض المدن لاسيما بين النساء بوصفها واحدة من تلك السلوكيات المستهجنة، الا اننا نجد من الصعب تخطي مظاهر اكثر بشاعة واستهجان كانت تمارس وسط مجتمع السودان الغربي، من بينها ان المرأة كانت مرتهنة بما يريده الرجل على الرغم من الاعتقاد بأن الامومة هي أصل النسب، خاضعة له من دون قواعد او ضوابط اجتماعية تنظم وجودها، سوى ما كان من اعراف تتقيد بها، فكانت ظاهرة الزنى من ابرز الظواهر التي اشتهرت بها مجتمعات بعض المدن فلم يكن لاحد من الرجال امرأة خاصة به، انما كانوا يجتمعون في الليل عشرة او اثني عشر رجلا وامرأة في كوخ ويضاجع كل واحد منهم من تعجبه اكثر من غيرها (١٤٩) في حين مثلت المرأة لبعض الاسر الفقيرة مصدرا لكسب الرزق تباع حالها حال اي سلعة لمن يمتلك المال من الاثرياء واصحاب المكانة (١٥٠).

وكان تعدد الزوجات أمرا شائعا بشكل كبير، فلا حقوق مصانة للمرأة عند الزواج إذ انهم يتزوجون من دون صدقات، لذلك تجدهم كثيرو النسل[١٥١] وقد يصل عدد مايملكه الرجل من النساء الى عشرين زوجة لاسيما اذا كان من ذوي الجاه والمال، وفيما يبدو ان تلك الممارسة لم تكن لمجرد اشباع رغبة جنسية او ضرورة تكافل اجتماعي، بل كان الغرض منها زيادة النسل للاستفادة منه في العمل داخل الأرض، ومما يساعد على ذلك ان الزواج في تلك المجتمعات انه لايتطلب نفقات مالية كبيرة [١٥٢]، بل وان الاهم من ذلك ان هنالك اعتقادا دينيا سائدا عند بعض القبائل السودانية يقضي بموجبه تحريم الاتصال الجنسي للمرأة اثناء الطمت وطوال مدة الرضاعة وهذا العرف جاء بدعوى الاعتقاد بضرورة المحافظة على طهارة المرأة وعفتها[١٥٣] ومن الجدير بالذكر ان هذه الظاهرة ادت الى تفشي الزنا بسبب حالة الفراغ الجنسي الذي تشعر به المرأة والاختلاط المباح بين الرجال والنساء، لذلك فقد اشتهرت بعض المدن في بلاد السودان الغربي بشيوع العلاقات الجنسية المحرمة في اوساط المجتمع من بينها مدينة تادمكة التي كان سكانها خليط من البربر والسودان وكانت نساء المدينة تستقبل التجار الوافدين اليها ليتنافسن على ايهن تفوز بالرجل الوسيم منهم وتأخذه معها الى بيتها[١٥٤]، وما ذكر عن سكان مدينة ولاته وهي اول عمالة بلاد السودان الغربي ما يثير الاشمئزاز والحنق لعدم التزام النساء بالحجاب والحشمة امام الرجال الغرباء فكان اتخاذهن الاصحاب من الرجال للتسامر والخلوه بوجود ازواجهن مسألة طبيعية، وكذلك يفعل الرجال فيتخذون صويحبات لهم، وهذا يعد انتهاك صارخ لمفهوم العلاقات الاجتماعية وتجاوز سافر على حقوق الاسرة، وينم عن فقدان الغيرة عند الرجال وهتك لستر المرأة وعفتها، في الوقت الذي وصفن فيه بالجمال الفائق والقدر الجليل وبأنهن أعظم شانا من الرجال، مع ارتدائهن الملابس الحسان مما يجلبه تجار مصر، وانهم رجالا ونساء مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن واداء الفرائض، ولعل هذه الحرية المباحة للمرأة هي التي بررت سطوة المعتقدات القديمة التي ترجع اصل الانتماء الى الام بدل الاب وقيام النظام السائد من عدم انتساب الرجل الى ابيه وانتسابه الى خاله، وذهاب تركة من يموت الى ابناء اخته[١٥٥].

لكن كل ذلك لم يمنع الاسلام من التدخل في محاولة انهاء هذه الممارسة القبيحة التي كان من احد افرازاتها انتشار الزنى في مجتمعات بعض المدن، ومحاولة رفض هذه الظواهر بوصفها استسلام لمظاهر العبودية مما يولد الجنوح نحو الانحلال الاخلاقي، والعلاقات المشبوهة والمحرمة بين الأقارب والتي اوحت مع الزمن وكانها مظاهر عادية في المجتمع[١٥٦]، وقد اجتهد الفقهاء والعلماء من اجل توضيح المساوىء المترتبة على هذا السلوك وخير مثال على ذلك ما حصل من حوار بين الملك منسا موسى وأحد الشخصيات في مصر اثناء رحلة الحج التي قام بها والذي نهاه عن تعدد الزوجات والتسري بالجواري[١٥٧].

اما بشأن العادات الاخرى فقد كان مجتمع مملكة مالي واقعا تحت ضغوط فرضتها الطبيعة حينا والتقاليد المكتسبة من رواسب الموروث الوثني القديم حينا اخر، فقد اشتهر سكان بعض المدن بظاهرة اكل الجيف من الحيوانات النافقة، واكل الكلاب والحمير، وعدم الالتزام بتعاليم الاسلام في هذه المسألة مع اشتهار تلك المدن بوجود مختلف الدواب كالابقار والاغنام والماعز وغيرها ممن تعد طعاما مفضلا للسكان، وايضا ما اشير الى تقديم الملوك لمن يضيفهم من بلاد آكلي لحوم البشر جواري كتكريم وحفاوة لكي يذبحوها ويأكوها[١٥٨]، وايضا ماكان من سيادة الاعتقاد عند بعض القبائل من ان الانسان في اصل تكوينه يكون جامعا لصفتي الذكورة والانوثة وان الذي يميز بينهما هو الختان لذلك عمدوا الى ختان البنت ايضا[١٥٩] وهي ظاهرة نهى عنها الاسلام وحرمها.

٩- القضاء والاحكام

يعد القضاء واحدا من النظم الحضارية التي تهتم بها الدول في تنظيم شؤون المجتمع بمختلف علاقاته الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وكان منصب القاضي عاملا مهما في تثبيت اركان الملك لما يتمتع به صاحبه من حكمة وخبرة ودراية في الشؤون التشريعية والاحكام القضائية، لذلك فقد كان اختيار القاضي يتوقف على معايير عدة منها ان يكون مسلما عالما بالفقه والتشريع، نزيها شريفا ذا سمعة طيبة،

فضلا عما يمتلكه من مؤهلات شخصية كالشجاعة وقوة الشخصية، ومن هنا فقد فرض القضاء احترامه في مملكة مالي وكان للقاضي مكانة مرموقة عند الملوك والسكان في الوقت نفسه، وكانت لهم من امتيازات خاصة ميزتهم عن غيرهم من الناس من بينها انهم كانوا يجالسون الملك في كل مجلس في قصره، وكانوا الوحيدين من بين الحضور الذين يمكنهم مصافحة الملك ولا يرفعون ثيابهم او يضعون التراب فوق رؤوسهم تذللا له واحتراما، وكان القاضي يدعى بـ(انفار) ويقال (انفار قم) اي (قاضي القبيلة) لانه يختار من بين ابنائها(١٦٠)، وكانت لهم مرتبات خاصة واعطيات مالية من قبل الملك في المناسبات والاعياد، ويرتدون الطيلسان زيا رسميا خاصا بهم(١٦١)، وقد ارتبطت مهنة القضاء بالفقهاء كونهم اعلم الناس بالامور الشرعية وما يترتب عليها من اصدار احكام قطعية(١٦٢)، فكانت لهم الكلمة المسموعة واحكامهم ماضية عند الملك والعامة، ولذلك منحوا حق اجارة الملهوف او المظلوم فمن استجار بهم يجار حتى ولو كان مرتكبا لجريمة كبرى(١٦٣)، وقد يشارك الملك القاضي في مسألة النظر في المظالم والشكاوى فتكون قراراته واجبة التنفيذ وملزمة (١٦٤) لكن بعد التشاور مع القاضي الذي يكون حاضرا مع كتاب الدواوين.

وفي ذات السياق فان ملوك مملكة مالي حرصوا اثناء توسعهم وبناء المدن وتطويرها الى ان يكون فيها من القضاة المؤهلين لحل القضايا والنظر في الشكاوى، فكانوا يختارون لهذا المنصب من الشخصيات العلمية المعروفة وخاصة من المغاربة(١٦٥) لكن وجود القاضي لم يمنع استمرار بعض المدن بممارسة اعرافهم الخاصة بالاحكام والمنازعات الموروثة عن معتقداتهم القديمة لذلك نجد ان هناك احكاما قضائية تسير مسرى العرف في بعض مدن مملكة مالي لم ينزل الله بها من سلطان وهي ترسيخ لمعتقدات الوثنية التي حاول الاسلام القضاء عليها، منها ما كان من احكام في مدينتي قلنبو وترنكة بحق السارق والزاني فكان الامر يصار الى صاحب السرقة فيخير ما بين بيع السارق او قتله، واما الزاني فيسلخ جلده (١٦٦)، وما كان في مدينة غانة فيما يعرف بحكم الماء، اذ يأتي صاحب الدعوى بعود فيه حرارة ومرارة

ويصب عليه الماء بقدر معلوم ثم يسقي به المدعي عليه بهذا الماء فان رماه من جوفه فان ذلك يعني انه بريء وان لم يرمه وبقى في جوفه صحت الدعوى عليه(١٦٧).

النتائج التي توصل اليها الباحث

١- ان مملكة مالي الاسلامية واحدة من الممالك التي حكمت منطقة شاسعة ضمت اقاليما عدة امتدت من ثنية نهر النيجر شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا، بينما تجاوزت حدودها الشمالية عمق الصحراء الكبرى وامتدت من الجنوب حتى بلاد الغابات.

٢- اتسمت هذه المملكة بالطابع الاسلامي في الوقت التي كانت تحكم اقاليما بقيت على وثنيتها من دون اجبارها على الدخول في الاسلام.

٣- على الرغم من انتشار الاسلام في ربوع مدن هذه المملكة فقد بقيت رواسب الموروث الوثني تمارس بشكل واضح في الحياة الاجتماعية، مثل ظاهرة التعري والزواج والختان والبيع والشراء وغيرها.

٤- اثبت البحث ان هناك ممارسات في اصدار الاحكام في القضايا المتعلقة بالزنا والسرقة تخالف ما جاءت به نصوص الشريعة الاسلامية.

٥- لم تنتهي بعض القبائل في بعض المدن عن ممارسة طقوسها الدينية الوثنية وعبادة آلهتها المتعددة مثل عبادة الشمس والظواهر الطبيعية والنار والحيوان فضلا عن الاصنام.

٦- اثبت البحث ان مملكة مالي لم تكن لها عملة ذهبية خاصة بها بل استمرت في تداول التجارة بنظام المقايضة ولم نجد مايشير الى وجود دور سكة مع اشتهارها ببلاد الذهب.

٧- بدى للباحث ان هناك تأثرا طرأ على مراسم طقوس الدفن والمقابر في مملكة مالي فوجدت المقابر بجوار المساجد، مع استمرار الوثنيين بطقوسهم القديمة ذاتها.

٨- اشتهرت مملكة مالي بوجود السحر كممارسة مستمدة من الارث الوثني القديم بين اوساط العامة وكان لهذه المهنة اثر واضح في الحياة الاجتماعية، كما ظهر الاهتمام بصناعة السموم ايضا.

٩- اظهر البحث ان الاوبئة والامراض منشرة في مملكة مالي نتيجة عدم وجود المرافق الصحية والبيئة النظيفة، وعدم مراعاة الشروط الصحية في الملبس والمأكل والمسكن.

١٠- وقف الباحث على جملة من الممارسات المستهجنة التي كانت تمارسها القبائل المنضوية تحت حكم مملكة مالي وهي من رواسب الموروث القديم مثل الزنى، واكل الجيف، واكل لحوم البشر وغيرها.

المصادر

١- الادريسي: ابو عبد الله محمد بن محمد بن ادريس الحموي الحسني (٥٦٠هـ/١١٦٣م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة٢٠٠٢م).

٢- الاصطخري: ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، (ليدن ١٩٢٧م).

٣- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الابصار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان ومصطفى القصاص، دار احياء العلوم، (بيروت ١٩٨٧م).

٤- البكري: ابو عبيد بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تحقيق: ادريان ليوفن واندري فيري، دار الغرب الإسلامي، (بيروت ١٩٩٢م).

٥- الحسن الوزان: الحسن بن محمد الفاسي المعروف بـ(ليون الافريقي)، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، (بيروت١٩٨٣م).

٦- ابن حوقل: ابو القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الارض، مطبعة ليدن، دار صادر، (بيروت ١٩٣٨م).

٧- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، (بيروت٢٠٠٠م).

٨- الزهري: ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت٥٣٢هـ/١١٣٧م)، كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، طبع المركز الاسلامي، توزيع مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد ، د ت).

٩- السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، تحقيق: هوداس، مطبعة بردين، (باريس ١٩٨١م).

١٠- ابن سعيد المغربي: ابو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة، (بيروت١٩٧٠م).

العمري: ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م).

١١- مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، (بيروت٢٠١٠م).

١٢- التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت١٩٨٨م).

١٣- الفيروز ابادي: مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة باشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، (بيروت ٢٠٠٥م).

١٤- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت ١٩٦٩م).

١٥- القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٥٩٣م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، المطبعة الاميرية، دار الكتب الخديوية، (القاهرة ١٩١٥م).

١٦- كعت: محمود بن الحاج المتوكل التنبكتي (ت١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور وتفريق انساب العبيد من الاحرار، تحقيق: ادم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، (بيروت ٢٠١٤م).

١٧- مجهول: (مؤلف مراكشي من مؤرخي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، (الدار البيضاء١٩٨٥م).

١٨- المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الاندلس، (بيروت ١٩٩٦م).

١٩- المقريزي: تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، (بورسعيد ٢٠٠٠م).

٢٠- المنجم: اسحق بن الحسين (من مؤرخي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تحقيق: فهمي سعد، عالم الكتب، (بيروت١٩٨٨م).

٢١- ياقوت الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت ١٩٧٧م).

٢٢- اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الامير مهنا، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت ٢٠١٠م).

المراجع

٢٣- ابراهيم: رجب عبد الجواد وآخرون، المعجم العربي لأسماء الملابس، الشركة الدولية للطباعة، دار الافاق العربية، (القاهرة٢٠٠٢م).

٢٤- اسبر: امين، افريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، دار دمشق للطباعة، (بيروت، دمشق١٩٨٥).

٢٥- الالوري: آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، (بيروت١٩٦٥م).

٢٦- باري: عثمان برايما، جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي، دار الامين للنشر والتوزيع، (القاهرة٢٠٠٠م).

٢٧- باري: محمد فاضل و كريدية: سعيد ابراهيم، المسلمون في غرب افريقيا، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٧م).

٢٨- بانيكار: مادهو، الوثنية والاسلام تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقيا، ترجمة: احمد فؤاد بلبع، ط٢، (المجلس الاعلى للثقافة ١٩٩٨م).

٢٩- بوفيل: ادوارد، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة: الهادي ابو لقمة ومحمد عزيز، ط٢، منشورات قاريونس، (بنغازي ١٩٨٨م).

٣٠- الجمال، احمد محمد اسماعيل احمد، تاريخ مدينة اودغست ودرها في حركة التجارة بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، الحولية الثامنة ٢٠٠٨م.

٣١- جودة: حسنين جودة، قارة افريقيا دراسات في الجغرافيا الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية ٢٠٠٠م).

٣٢- الحميري : محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، (بيروت ١٩٧٤م).

٣٣- الدالي: الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة١٩٩٩م).

٣٤- دي: فيج جي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، مراجعة بهجت رياض صليب، منشورات دار المعارف، (القاهرة ١٩٨٢م).

٣٥- ديشان: هوبير، الديانات في افريقيا السوداء، ترجمة: احمد صادق حمدي وآخرون، المركز القومي للترجمة، (القاهرة٢٠١١م).

٣٦- الرهماني: الرهماني سالم، الجاليات العربية الاسلامية المبكرة في غرب افريقيا واثرها في نشر الاسلام واللغة العربية، مجلة كلية الآداب، العدد ٢٢، (جامعة طنطا ٢٠٠٩م)،

٣٧- الزبيري: محمد العربي، التجارة الخارجية في الشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر ١٩٧٨م).

٣٨- زكي: عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا، مطبعة يوسف، مكتبة الجامعة المصرية، (القاهرة١٩٦٧م).

٣٩- زيادة: نقولا، افريقيات، مكتبة رياض الريس للكتب والنشر، (لندن١٩٩١م).

٤٠- شكري: احمد، الإسلام والمجتمع السوداني (امبراطورية مالي١٢٣٠-١٤٣٠م)، اصدارات المجمع الثقافي، (ابو ظبي١٩٩٩م).

٤١- شلبي: احمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط٥، مكتبة النهضة العصرية، (القاهرة ١٩٩٠م).

٤٢- طاهر: احمد، افريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، (القاهرة ١٩٧٥م).

٤٣- طرخان، ابراهيم علي، قيام دولة مالي الإسلامية، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد ١، (القاهرة ١٩٧٠م).

٤٤- فليجة: احمد نجم الدين، افريقية دراسة عامة واقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية د ت).

٤٥- الفيتوري: عطية المخزومي، دراسات في تاريخ شرق افريقيا، منشورات جامعة قاريونس، (بنغازي ١٩٩٨م).

٤٦- قداح، نعيم، حضارة الإسلام وحضارة اوربا في افريقية الغربية، مكتبة أطلس، (دمشق ١٩٦٥م).

٤٧- قداح: نعيم، افريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (كوناكري ١٩٦٠م).

٤٨- كجيري: عبد القادر بن تيجان بن لالم، موسوعة تاريخ مالي، مؤسسة كبيرى للتربية والبحوث التاريخية، (طوبى ٢٠١٥م).

٤٩- ميسير: رونالد، ذهب غرب افريقيا والعملات الذهبية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: نزاد اسكندر، مقال منشور لنسخة منقحة من ورقة بحثية قرأت في الاجتماع السنوي السادس لاتحاد الدراسات الشرق اوسطية، في جامعة ولاية نيويورك في برمنغهام(١٩٩٩م).

٥٠- نوري: دريد عبد القادر، دور الحج في ربط السودان الغربي بالوطن العربي بعد القرن الخامس الهجري، مجلة رسالة الخليج العربي، (الرياض ١٩٨٣م)، المجلد٣، العدد٩.

٥١- نيان: جبريل، تاريخ افريقيا العام، المطبعة الكاثوليكية في بيروت، صدر عن منظمة الامم المتحدة للتربية والتعليم والعلم والثقافة (اليونسكو)، (باريس ١٩٨٨م).

٥٢- هنس: فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، (عمان١٩٧٠م).

٥٣- Trimingham: J. Spencer, Islam of west in Africa, Oxford University 1959, London

٥٤- Mouny: Raimond, Tableau Geographique de L,oust Africain moyen AGE. Dakar 1961.

الهوامش:

(١) الاصطخري: ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، (ليدن ١٩٢٧م)،ص٤.

(٢) بوفيل: ادوارد، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة: الهادي ابو لقمة ومحمد عزيز، ط٢، منشورات قاريونس، (بنغازي ١٩٨٨م)، ص١١٩-١٢٠.

(٣) Trimingham: J. Spencer, Islam of west in Africa, Oxford University 1959, London, P.1.

(٤) الاصطخري: مسالك الممالك، ص٤٠.

(٥) ابن حوقل: ابو القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الارض، مطبعة ليدن، دار صادر، (بيروت ١٩٣٨م)، ج١، ص١٥-١٦.

(٦) وهي مدينة قديمة في افريقيا حدد الجغرافيون موقعها بالنسبة الى مدينة سجلماسة فاتفقوا على انها تقع جنوبها، اذ يفصل بينهما مسافة شهرين ولم يبق لها أثر اليوم. ياقوت الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت ١٩٧٧م)، ج١، ص٢٧٧؛ وللمزيد من المعلومات عن مدينة اودغست: الجمال، احمد محمد

اسماعيل احمد، تاريخ مدينة اودغست ودرها في حركة التجارة بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، الحولية الثامنة ٢٠٠٨م، ص٢٢.

(٧) البكري: ابو عبيد بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تحقيق: ادريان ليوفن واندري فيري، دار الغرب الإسلامي، (بيروت ١٩٩٢م)، ج١، ص١٣.

(٨) طرخان، ابراهيم علي، قيام دولة مالي الإسلامية، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد ١، (القاهرة ١٩٧٠م)، ص٢.

(٩) دي: فيج جي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، مراجعة بهجت رياض صليب، منشورات دار المعارف، (القاهرة ١٩٨٢م)، ص١٥.

(١٠) قداح: نعيم، افريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (كوناكري ١٩٦٠م)، ص٢؛ الزبيري: محمد العربي، التجارة الخارجية في الشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر ١٩٧٨م)، ص٥٨.

(١١) فليجة: احمد نجم الدين، افريقية دراسة عامة واقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية د ت)، ص١١.

(١٢) قداح: افريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص٢-٦.

(١٣) مدينة اسسها الطوارق وتحديدا طوارق مقشرن في اواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تبعد حوالي اربعة اميال عن نهر النيجر، كان تأسيسها كمخزن للمؤن في بداية امرها حتى اصبحت مدينة تجارية وعاصمة للثقافة والعلوم. ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، تحقيق: هوداس، مطبعة بردين، (باريس ١٩٨١م)، ص٢٠-٢١.

(١٤) شكري: احمد، الإسلام والمجتمع السوداني (امبراطورية مالي١٢٣٠-١٤٣٠م)، اصدارات المجمع الثقافي، (ابو ظبي١٩٩٩م)،ص٦٠؛ جودة: حسنين جودة، قارة افريقيا دراسات في الجغرافيا الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية ٢٠٠٠م)، ص٦٣، ٦٥.

(١٥) جودة: قارة افريقيا، ص٧٥.

(١٦) طرخان: قيام دولة مالي الإسلامية، ص٢-٣.

(١٧) Mouny: Raimond, Tableau Geographique de L,oust Africain moyen AGE. Dakar 1961, p:119.

(١٨) بلاد تنسب الى قبيل من السودان فصارت تعرف ببلاد التكرور وهي مدينة عظيمة مشهورة لا سور لها سكانها خليط من المسلمين والكفار. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٨؛ القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت ١٩٦٩م)، ص٢٦.

([١٩]) شلبي: احمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط٥، مكتبة النهضة العصرية، (القاهرة ١٩٩٠م)، ج٦، ص٦٤.

([٢٠]) الفيتوري: عطية المخزومي، دراسات في تاريخ شرق افريقيا، منشورات جامعة قاريونس، (بنغازي ١٩٩٨م)، ص٢٣-٣٢.

([٢١]) الحسن الوزان: الحسن بن محمد الفاسي المعروف بـ(ليون الافريقي)، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، (بيروت١٩٨٣م)، ج٢، ص ١٦٤.

([٢٢]) العمري: ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، (بيروت٢٠١٠م)، ج٤، ص٤٩.

([٢٣]) لعل من المهم بمكان البحث عن اصل التسمية والتعريف بها في ظل السياق التاريخي الذي ظهرت فيه تلك المملكة وهي تخطوا نحو المجد، فقد اطلقت تسميات عدة جاءت بحسب المنظور اللغوي والتاريخي منها:

١- ما جاء على لسان كانتي سليمان قوله ان اصل لفظ مالي جاء مكون من مقطعين الاول (ماغا) وتعني الملك باللغة السوننكية وهو لقب لملك غانة الذي كان يطلق عليه (كي ماغ) اي ملك الذهب و (دين) وتعني الابن، فصارت كل مملكة تتبع امبراطورية غانة يطلق عليها (ماغ) فكانوا يسمون الملوك بـ(ماغا فلان) اي (ماغا دين) بمعنى ابناء الملك ثم خففت فأصبحت (ماندي) لتتحول مع الزمن الى (مالي) ينظر: كجيري: عبد القادر بن تيجان بن لالم، موسوعة تاريخ مالي، مؤسسة كبيرى للتربية والبحوث التاريخية، (طوبى ٢٠١٥م)، ص١٤٨.

٢- وهناك من يقول ان التسمية جاءت نسبة الى فرس النهر الحيوان الضخم الذي يعيش في انهار تلك المناطق بكثرة. باري: محمد فاضل و كريدية: سعيد ابراهيم، المسلمون في غرب افريقيا، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٧م)، ص٧٦.

٣- اما المؤرخين العرب ومن اتبعهم من مؤرخي السودان فقد اطلقوا على تلك البلاد تسميات عدة لكنها متشابهة في اصلها منها (ملل، ومل، وملي، ومالي) ومنهم: اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الامير مهنا، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت ٢٠١٠م)، ج١، ٢٣٨؛ البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٥؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الابصار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان ومصطفى القصاص، دار احياء العلوم، (بيروت ١٩٨٧م)، ص٦٩٤؛ العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٤٩؛ السعدي، تاريخ السودان، ص6؛ كعت: محمود بن الحاج المتوكل التنبكتي (ت١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور وتفريق انساب العبيد من الاحرار،

تحقيق: ادم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، (بيروت ٢٠١٤م)، ص١٢٠؛ الحسن الوزان: وصف افريقيا، ص٦٤.

وتشغل مملكة مالي القديمة المساحة التي تشغلها جمهورية مالي وجنوب موريتانيا من الجهات الشمال والسنغال وغينيا من الغرب وشمال ساحل العاج وفولتا من الجنوب والنيجر من الشرق. ينظر: قداح: افريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص٤٤.

([٢٤]) هي فرع من مجموعة قبائل المالنكة الوثنية كانوا يقيمون في مناطق غرب غانة في المنطقة الجبلية لكوليكورو تخصصوا بصناعة الحديد. ينظر: نيان: جبريل، تاريخ افريقيا العام، المطبعة الكاثوليكية في بيروت، صدر عن منظمة الامم المتحدة للتربية والتعليم والعلم والثقافة (اليونسكو)، (باريس ١٩٨٨م)، المجلد الرابع، ص١٣٧.

([٢٥]) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، (بيروت٢٠٠٠م)، ج٦، ص٢٦٦؛ القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٥٩٣م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، المطبعة الاميرية، دار الكتب الخديوية، (القاهرة ١٩١٥م)، ج٥، ص٢٩٣.

([٢٦]) طرخان: قيام مملكة مالي، ص٢١.

([٢٧]) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٥.

([٢٨]) نيان: تاريخ افريقيا العام، المجلد الرابع، ص١٤٦.

([٢٩]) كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٧

([٣٠]) المصدر السابق: المجلد الرابع، ص١٤٧.

([٣١]) العبر،ج٦، ص٢٦٦.

([٣٢]) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٤٩؛ العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت١٩٨٨م)، ص٤٤.

([٣٣]) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٦٧؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٩٣.

([٣٤]) الالوري: آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، (بيروت١٩٦٥م)، ص١٥٥.

([٣٥]) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٦٧.

([٣٦]) كجيري: موسوعة تاريخ مالي، ص٢٢٧.

([٣٧]) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص٤٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٦٧؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، ص٢٩٤؛ المقريزي: تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، (بورسعيد ٢٠٠٠م)، ص١٤٠؛ السعدي: تاريخ السودان، ص٨؛ كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٠.

([٣٨]) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٤٩.

([٣٩]) للمزيد من المعلومات حول رحلة حج الملك منسا موسى يراجع العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٦-٥٨؛ نوري: دريد عبد القادر، دور الحج في ربط السودان الغربي بالوطن العربي بعد القرن الخامس الهجري، مجلة رسالة الخليج العربي، (الرياض ١٩٨٣م)، المجلد٣، العدد٩، ص٢٥٤.

([٤٠]) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٦٧-٢٧٠؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، ص٢٩٤-٢٩٨.

([٤١]) الفيتوري: تاريخ شرق افريقيا، ص٢٨٤.

([٤٢]) عرفوا بهذا الاسم لانهم اتخذوا رباطا لهم بقيادة عبد الله بن ياسين الجزولي في منطقة معزولة جنوب السنغال، وهم جزء من قبائل صنهاجة الجنوب الذين تميزوا بلبس اللثام فعرفوا ايضا بالملثمين. ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٤٣.

([٤٣]) مجهول: (مؤلف مراكشي من مؤرخي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، (الدار البيضاء١٩٨٥م)، ص٢١٧؛ زكي: عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا، مطبعة يوسف، مكتبة الجامعة المصرية، (القاهرة١٩٦٧م)، ص٣١.

([٤٤]) المصدر السابق، ج٦، ص١٣٥.

([٤٥]) العمري: مسالك الابصار،ج٤، ص٥٠، ٦١.

([٤٦])المصدر السابق، ج٥، ص٤٩٥.

([٤٧]) طرخان: قيام دولة مالي، ص٢٩؛ قداح: الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا، ص٣١؛ زيادة: نقولا، افريقيات، مكتبة رياض الريس للكتب والنشر، (لندن١٩٩١م)، ص٣١٣.

([٤٨]) طاهر: احمد، افريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، (القاهرة ١٩٧٥م)، ص٧١-٧٢.

(٤٩) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص ٢٦٧.

(٥٠) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧١.

(٤٩) كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٠.

([٥٢]) العمري: مسالك الابصار،ج٤، ص٥٥.

([٥٣]) المصدر نفسة: ص٥١

([٥٤]) كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٢.

([٥٥]) البكري: مسالك الممالك، ص٨٧٣؛ مجهول: الاستبصار، ص٢٢٠.

([٥٦]) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٨٤.

([٥٧]) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٣.

([٥٨]) المصدر نفسه: ج٤، ص٥٣.

([٥٩]) قداح، افريقيا في ظل الإسلام، ص ٩٣-٩٤.

([٦٠]) الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق افريقيا، ص١٠٢.

([٦١]) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٨٠.

([٦٢]) جاءت في معجم البلدان بلفظ (سلا) وهي مدينة بأقصى المغرب ليس بعداها معمور، يحاذيها البحر المحيط على سمت بلاد السودان. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٣١.

([٦٣]) مدينة تقع شرق نهر النيجر على بعد اثنتا عشرة مرحلة عن مدينة تكرور، وهي مدينة لا سور لها حاضرة كالقرية اهلها تجار متجولون. الادريسي: ابو عبد الله محمد بن محمد بن ادريس الحموي الحسني (٥٦٠هـ/١١٦٣م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة٢٠٠٢م)، ص١٩.

([٦٤]) يلفظها ابن سعيد غيارو نقع على ضفة خليج يخرج من نهر النيجر، يحيط بها حفير اشبه بالخندق، بينها وبين مدينة غانة احدى عشرة مرحلة. المصدر نفسه: ص٢٦؛ الجغرافيا، ص٩٣.

([٦٥]) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٩، ٢٦.

([٦٦]) ابن بطوطة: تحفة النظار،: ص٦٩٩.

([٦٧]) المصدر نفسه: ص ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٩٠.

([٦٨]) بانيكار: مادهو، الوثنية والاسلام تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقيا، ترجمة: احمد فؤاد بلبع، ط٢، (المجلس الاعلى للثقافة ١٩٩٨م) ، ص٤٧٨.

([٦٩]) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٩.

([٧٠]) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج٢، ص١٥٩.

([٧١]) المنجم: اسحق بن الحسين (من مؤرخي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تحقيق: فهمي سعد، عالم الكتب، (بيروت١٩٨٨م)، ص١٠٣؛ ابن خلدون: العبر، ج١، ص٥١٧.

([٧٢]) المسالك والممالك، ص٨٧٦.

([٧٣]) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٢ ، ٨٧٤؛ مجهول: الاستبصار، ص٢٢٠.

([٧٤]) الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٤.

([٧٥]) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٣.

([٧٦]) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٨٤؛ ابراهيم: رجب عبد الجواد وآخرون، المعجم العربي لأسماء الملابس، الشركة الدولية للطباعة، دار الافاق العربية، (القاهرة٢٠٠٢م)، ص٣٠٩.

([٧٧]) تحفة النظار، ص٦٨٩ ، ٦٩١.

(٧٧) المصدر نفسه، ص٦٩٦-٧٠١.

([٧٨]) ابن سعيد المغربي: ابو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة، (بيروت١٩٧٠م)، ص٩١.

([٨٠]) آثار البلاد واخبار العباد، ص٢٦.

([٨١]) واحدة من مدن بلاد السودان الغربي بينها وبين مدينة غانة مسيرة ايام، يعرف اهلها بالبكم. الحميري : محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، (بيروت ١٩٧٤م)، ص٢٩٩.

([٨٢]) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٦؛ مجهول: الاستبصار، ص٢٢١؛ الادريسي: نزهة المشتاق، ص٣٤.

([٨٣]) ابن سعيد المغربي: الجغرافيا، ص٩٣؛ البكري: المسالك والممالك، ص٨٨٣.

([٨٤]) مدينة جليلة القدر تقع على ضفة البحر الحلو وهي على سفح جبلي. الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٥-٢٦.

([٨٥]) المصدر نفسه، ص١٨، ٢٤ ، ٢٨.

([٨٦]) تقع الى الشمال من مدينة غانة على الطريق الرابط بينها ومدينة سجلماسة فتبعد عن الأخيرة مسيرة شهرين، وقد اسماها ابن بطوطة ايوالاتن حيث. تحفة النظار، ص٦٧٦.

([٨٧]) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج٢، ص١٦٠

([٨٨]) باري: عثمان برايما، جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي، دار الامين للنشر والتوزيع، (القاهرة٢٠٠٠م)، ص٧.

([٨٩]) ديشان: هوبير، الديانات في افريقيا السوداء، ترجمة: احمد صادق حمدي وآخرون، المركز القومي للترجمة، (القاهرة٢٠١١م)، ص٤٤.

([٩٠]) الارض ذات الاشجار. ينظر: الفيروز ابادي: مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة باشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، (بيروت ٢٠٠٥م)، ص٤١٦.

([٩١]) البكري: مسالك الممالك، ص٨٧٢.

(٩٢) لم نقع على تعريف لها ونعتقد انها نفسها مدينة بريسى التي عرفناها سابقا

([٩٣]) مدينة في بلاد السودان الغربي، سكانها من المسلمون واكثر ما تجارتها الملح والودع والنحاس. مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص٢٢٢.

([٩٤]) مدينة من مدن السودان على الطريق بين سلى وغانة، تبعد عن الاولى مسيرة يوم، تقع على نهر النيجر واهلها كفار. البكري: مسالك الممالك، ص٨٦٩.

([٩٥]) مملكة واسعة على الطريق الرابط بين سلى وغانة، سميت نسبة الى قبيل من السودان تجارتهم الملح والذهب. المصدر نفسه، ص٨٧٠.

([٩٦]) تقع على نفس الطريق بعد مدينة قلنبو، وهي بلد عريض يسكنها قبيل من السودان يحيكون ازر القطن المعروفة بالشكيات. الحميري: الروض المعطار، ص١٣٢.

([٩٧]) تسمى (زافو) ايضا وحاضرتها (زافون) وهي ولاية واسعة في بلاد السودان المجاورة للمغرب متصلة ببلاد الملثمين، لهم ملك ذو قوة ومنعة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٢٧.

([٩٨]) البكري: مسالك الممالك، ص٨٧٠ ؛ مجهول: الاستبصار، ص٢١٨.
([٩٩]) مجهول: الاستبصار، ص٢٢٥.
([١٠٠]) ديشان: الديانات في افريقيا السوداء، ص١٦.
([١٠١]) المصدر نفسه، ص١٢٢-١٣١.
([١٠٢]) المسالك والممالك، ص ٨٧٢، ٨٧٣.
([١٠٣]) الجغرافية، ص٩٤.
([١٠٤]) مسالك الابصار، ج٤، ص٥٤.
([١٠٥]) المصدر نفسه: ص٥٢.
([١٠٦]) تحفة النظار، ص٦٨١، ٦٩٤.
([١٠٧]) السعدي: تاريخ السودان، ص٥٦، ٥٨.
([١٠٨]) بانيكار: الوثنية والاسلام، ص٤٧٧.
([١٠٩]) ديشان: الديانات في افريقيا السوداء، ص١٢،١٧.
([١١٠]) اسبر: امين، افريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، دار دمشق للطباعة، (بيروت، دمشق١٩٨٥)، ص١٧٥.
([١١١]) العمري: مسالك الممالك، ج٤، ص٥٢.
([١١٢]) الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٧.
([١١٣]) ديشان: الديانات في افريقيا السوداء، ص ٣٤ ، ٣٨ ، ٨٧.
([١١٤]) اسبر: افريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ص١٧٥-١٧٦.
([١١٥]) المسالك والممالك، ص٨٧٦.
([١١٦]) العمري : مسالك الممالك: ج٤، ص٥٢ ، ٥٩.
([١١٧]) القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، ص٢٩١.
([١١٨]) اذ كانت تقوم بترك التجار لبضائعهم في مكان محدد ثم ينسحبون مسافة الى ان يختفوا ويضربون الطبول فيعلم اهل السودان انهم انسحبوا ليأتوا الى مكان البضائع ويتركوا كمية من الذهب قبالة الاشياء التي يرغبون بشرائها ثم ينسحبون وبنفس الطريقة يضربون الطبول ايضا، فيعلم التجار انهم انسحبوا ليعودوا مرة اخرى ويأخذوا الذهب ويتركوا البضائع على حالها وينسحبوا، فيرجع السودان ويأخذوا البضائع وقد تتكرر هذه العملية مرات عدة فيما لو وجد التاجر ان الذهب لا يكافئ بضاعته ومن هنا جاءت تسميتها بالتجارة الصامتة لان طرفي التبادل التجاري لا يلتقون في مكان واحد ولا يحدث بينهم تفاوض ومن ثم الاتفاق على البضائع والاسعار. المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الاندلس، (بيروت ١٩٩٦م)، ص٨٨؛ العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٦٠؛ الزهري: ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت٥٣٢هـ/١١٣٧م)، كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد

حاج صادق، طبع المركز الاسلامي، توزيع مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد ، د ت)، ص١٢٢؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٩.

(١١٩) البكري: مسالك الممالك، ص٨٤٠.

(١٢٠) مدينة واسعة تقع بين جبال وشعاب ، ذكر انها اشبه البلاد بمكة، ولا نعرف من اين جاء هذا الشبه! بينها وبين مدينة غانة خمسون مرحلة . مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار، المصدر السابق: ص٢٢٣.

(١٢١) المصدر السابق: ص٨٦٨، ٨٧١، ٨٨٠ ،٨٨٣.

(١٢٢) تقع هذه المدينة في طرف بلاد السودان جنوبي المغرب، اهلها خليط من البربر من صنهاجة والسودان. اليعقوبي، البلدان، ص١٩٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٩٢.

(١٢٣) ميسير: رونالد، ذهب غرب افريقيا والعملات الذهبية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: نزاد اسكندر، مقال منشور لنسخة منقحة من ورقة بحثية قرأت في الاجتماع السنوي السادس لاتحاد الدراسات الشرق اوسطية، في جامعة ولاية نيويورك في برمنغهام(١٩٩٩م)، ص١٤٤.

(١٢٤) البكري: مسالك الممالك، ص٨٧٤.

(١٢٥) صورة الارض، ص٩٦.

(١٢٦) مجهول: الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢٢٣.

(١٢٧) وردت في المصدر (المقارضة) وهي ربما جاءت تصحيفا اثناء النسخ ينظر: الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٨.

(١٢٨) تقع هذه المدينة في الطريق الى مدينة كوكيا ناحية الصحراء في واحات توات وبناء بيوتها بأحجار حمراء لكثرة النحاس في ارضها والتي عرفت ببلاد النحاس. ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٧٠٩-٧١٠.

(١٢٩) المصدر نفسه، ص٦٩٧،٦٩٤،٦٧٤.

(١٣٠) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٩.

(١٣١) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٧ ، ٦٩٩.

(١٣٢) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٦-٥٧.

(١٣٣) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج٢، ص ١٦٣، ١٦٧.

(١٣٤) الرهماني: الرهماني سالم، الجاليات العربية الاسلامية المبكرة في غرب افريقيا واثرها في نشر الاسلام واللغة العربية، مجلة كلية الآداب، العدد ٢٢، (جامعة طنطا ٢٠٠٩م)، ص٧٥٢.

(١٣٥) مقدار المد الشرعي ٨١٢,٥ غم من القمح. هنس: فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، (عمان١٩٧٠م)، ص٧٤.

(١٣٦) تحفة النظار، ص٦٩٦.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص٦٩٦.

(١٣٨) الدالي: الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة١٩٩٩م)، ص٧٨.

(١٣٩) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج٢، ص١٦٨.

(١٤٠) البكري: المسالك والممالك، ص٨٤٧.

(١٤١) يسميها القزويني (تغارة) وهي بلدة جنوبي المغرب جهة المحيط، بناء دورها من حجارة الملح لكثرتها والتي تنقل الى بلاد السودان، يسكنها عبيد مسوفة ، ومياه ابارها عذبة وليس فيها زرع. آثار البلاد واخبار العباد، ص٢٥-٢٦.

(١٤٢) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٧٤.

(١٤٣) المصدر نفسه: ص٦٩١، ٦٩٤.

(١٤٤) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٤.

(١٤٥) كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٨.

(١٤٦) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٧٦.

(١٤٧) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٠.

(١٤٨) الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٠؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٦٨٧.

(١٤٩) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ص١٥٩-١٦٠.

(١٥٠) قداح، نعيم، حضارة الإسلام وحضارة اوربا في افريقية الغربية، مكتبة أطلس، (دمشق ١٩٦٥م)، ص١٩٣.

(١٥١) الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٢.

(١٥٢) قداح: حضارة الاسلام وحضارة اوربا، ص١٩٩.

(١٥٣) ديشان: الديانات في افريقيا السوداء، ص١٤.

(١٥٤) مجهول: الاستبصار، ص٢٢٣.

(١١٩) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٩٠.

(١٥٦) قداح: حضارة الاسلام وحضارة اوربا، ص١٩٣-١٩٤.

(١٥٧) العمري: مسالك الابصار،ج٤، ص٥٥.

(١٥٨) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٩١، ٦٩٣؛ العمري: مسالك الممالك، ج٤، ص٥٩-٦٠.

(١٥٩) ديشان: الديانات في افريقيا السوداء، ص١٥.

(١٦٠) كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٢.

(١٦١) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ٦٨٣ ، ٦٨٦ ، ٦٨٩.

(١٦٢) السعدي: تاريخ السودان، ص٥٧.

(١٦٣) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٨٩.

(١٦٤) العمري: مسالك الابصار،ج٤، ص٥٣.

([١٦٥]) السعدي: تاريخ السودان، ص٥٦-٥٧.

([١٦٦]) البكري، مسالك الممالك، ص٨٩٦؛ مجهول: الاستبصار، ص٢١٨.

([١٦٧])البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٧.